العنصرية

لجنة بحوث والعلوم الاجتماعية في اكاديمية المجتمع الديمقراطي

AKADEMIYA CIVAKA DEMOKRATÎK
أكاديمية المجتمع الديمقراطي

تاريخ الطبع:2021

www.civakademokratik.com

civaka.dimokrat@gmail.com

-الفهرس

1. العنصرية
2. مقدمة
3. تعريف ومفهوم العنصرية
4. أسس العنصرية
5. التمييز العنصري وأنواعه
6. لمحة تاريخية عن نشوء العنصرية
7. أسباب العنصرية
8. نتائج العنصرية
9. المفاهيم المتداخلة مع العنصرية
10. العلماء والفلاسفة المناهضين للعنصرية
11. عنصرية النظام البعثي على الشعب الكردي في كل من سوريا والعراق
12. العنصرية التي يمارسها النظام التركي تجاه شعوب المنطقة
13. العنصرية التركية والصورة الذهنية عن الشعب العربي
14. علاج ومكافحة ظاهرة العنصرية
15. الخاتمة

المقدمة:

في ظل المرحلة الراهنة التي وصلت إليها المجتمعات الإنسانية، يمكننا أن نلاحظ بكل وضوح مدى تقدم وتطور العلوم الاجتماعية. فقد حصل مع هذا التطور موجة كبيرة من الآراء الفلسفية والسيسيولوجيا، قدمت لنا بعض الحقائق عن التاريخ ومراحل تطور حياة المجتمعات وسردا لا بأس به عما عاشته المجتمعات والمشكلات التي حدثت معها. فمن أكثر الممارسات الشنيعة التي تعرضت لها الكثير من المجتمعات من قهر وحروب ودمار، تمثلت غالبيتها بالعنصرية التي تبنت دائما فكرة طمس هوية الشعوب. فكل نظام جاء واستلم دفة الحكم قد ذهبت به السلطة إلى فرض عنصرية ممنهجة، تارة أيديولوجيا وتارة بواسطة الحروب. لقد تحدث التاريخ عن سلطة الحكام أكثر مما تحدث بلغة الفقراء وكدحهم من عرقهم ودمائهم. لقد ولد تاريخ الحضارة المركزية شرخا كبيرا بين المجتمع والحقيقة، أي الذي نعيشه اليوم هو اللاحقيقة، فقد حرفت الحياة الحقيقية منذ آلاف السنين وتشوه المجتمع وتجرد من قيمه. إلى أي مرحلة وصلنا!؟ وقد سدت أمامنا أبواب الحرية، حيث يسود جو من الحروب النفسية بدءاً من الفرد الواحد إلى المجتمع المتكامل. فقد عمدت السلطة إلى تمريض العقل الاجتماعي وجعله متأزما إلى أسوء حالاته، فيصبح كل إنسان قاتلا يبدأ بقتل نفسه أولا، ثم يكون أداة القتل والممارسة العنصرية عن طريق بعض المفاهيم التي رسخت في العقل الاجتماعي منذ ظهور الحضارة المركزية التي تأسست على تغيير حرية المجتمع وتقييد الفكر الديمقراطي وتجميد المجتمع

الطبيعي لتكوين مجتمع الطبقية ومجتمع الدولة. رغم إن الطبقية والفروق الجنسية بين المجتمعات وليدة الهيمنة الذهنية الدولتية التي خلقتها الكهنة والرهبان السومريين، إلا أن هذه الفروق لم تكن بقساوة الذهنية التي وصلتها المجتمع الإنساني تحت هيمنة النظام الرأسمالي، حيث أصبح العلم والفلسفة التي كانت تخدم المجتمع وتزيل الحواجز والفروقات بين أفراد المجتمع والمجتمعات، والتي هي نتاج الكدح الاجتماعي، قد أصبحت أداة هيمنة وتشريع للتفرقة بين المجتمعات. هذه التفرقة اليوم تسمى بالعنصرية والتمييز العنصري. حيث أن العنصرية تعبر عن أبشع مرحلة وصلتها الإنسانية تحت ذهنية الدولتية القومية، والنظام الذي أنشأتها الرأسمالية العالمية.

هذا ومع ظهور حركات وأشخاص وفلاسفة مناهضين للعنصرية على مر التاريخ، كل بأسلوب وطريقة مختلفة تنادي بتحرير المجتمعات من هذا المرض الاجتماعي، مازالت بعض المجتمعات والأنظمة الدكتاتورية والفاشية تمارس العنصرية وتدرس في مناهجها الدراسية. ورغم إن العنصرية التي مارستها الأنظمة ضد السود وخاصة في القارة الأمريكية، من أقدم أشكال العنصرية، إلا إن العنصرية التي مارستها الأنظمة في الشرق الأوسط على شعوب المنطقة وخاصة الكرد ليس أقل من تلك الممارسة، ولكن بأساليب أيديولوجية مرنة ومختلفة.

حيث عملت الأنظمة الرأسمالية على مر تاريخها على استغلال مفاهيم طائفية، مذهبية، عرقية وأثنية واوصلتها إلى مفاهيم

شوفينية وعنصرية تخفى ورائها مكائدها، العنصرية الدولتية، وهذه المفاهيم بالأساس تلعب دوراً في هوية وتنوع المجتمعات ليس إلا. لكن حقن هذه المفاهيم بذهنية شوفينية وعنصرية، أصبحت كأداة تقاس بها مستوى رقي وتطور المجتمعات والتباهي بها. لذلك علينا الانتباه في مجتمعنا ألا نقع في هذا المرض وهي ممارسة العنصرية، يتطلب هذا وعيا تجاه هذه الممارسة لأنها ليست فقط مرض يؤثر على المجتمع بل تقضي على حرية المجتمع من خلال قيام الأفراد ضمن المجتمع الواحد بالفعل العنصري، فقد تجد بعض الفروقات في المجتمع تزيد من قيام الافراد بالتباهي والغرور والتكبر على بعضهم البعض. أما التباهي بالعائلة أو المال والجاه أو أي مكتسب لأي مجتمع أو فرد.

أردنا في هذا الكتيب توضيح حقيقة العنصرية أكثر، بالرغم من حديث الكثير من الكتاب عنها إلا أنها لم تكفي لإظهار الكثير من المفاهيم والتحليلات بصدد العنصرية. فقد اتخذ العنصريون العديد من الأوجه واختبأوا وراء الديمقراطية، وفرض قوانين من تشريعهم بغية توطيد علاقتها بالديمقراطية وإظهارها للعيان على أنها الحق، والتاريخ شاهد على هذه الأكاذيب ولعل إدراكنا لهذا الأمر هي معاناة الشعوب التي باتت هذه القوانين تشكل نظام قمع بحق الشعوب.

تعريف ومفهوم العنصرية:

يمكننا توضيح مفهوم العنصرية من خلال جمع عدة تعاريف لها، حيث إن هذه الكلمة تتلقى دحضا من كل الأنظمة سواء كانت مستبدة ودكتاتورية أم ديمقراطية ولكن بالرغم من ذلك فالعنصرية تعد من إحدى الأفكار الأساسية التي تتبناها الكثير من أنظمة الحكم في العالم. بالرغم من عنصرية السلطة ضد المجتمعات إلا أنها تختبئ وراء ستار الديمقراطية لذلك تشكل هذه الخطوة تعقيدا أكبر في البحث عن مفهوم العنصرية حيث يجب ألا ننسى أن الأنظمة العالمية الحاكمة هي منبع العنصرية.

يعرف البعض العنصرية: على أنها الأفكار والمعتقدات التي تقلل من شأن شخص ما كونه ينتمي لعرق أو لدين أو لجنس مختلف، حيث يعتقد أن نوع المعاملة مع سائر البشر يجب أن تحكم بأعراقهم وخلفياتهم وإن المعاملة الطيبة يجب أن تقتصر على فئة معينة دون سواها أو أن فئة معينة لها الحق في أن تتحكم بحياة ومصير الأعراق الأخرى.

كما توجد تعريفات أخرى، إن العنصرية هي تقسيم الناس إلى أجناس وتصنيفها إلى جنس متفوق وجنس غير متفوق على غيره كالتمييز بين المرأة والرجل وهذه المشكلة تعاني منها كافة المجتمعات ولها جذورها التاريخية.

حيث يعرف البعض، العنصرية هي عدم المساواة الاجتماعية وهي من الأفكار الأولية لقيام الحروب من التاريخ وإلى يومنا الحاضر.

تقول آراء أخرى إن العنصرية هي حكم أقلية من الناس على أكثرية أخرى تختلف عنها في صفاتها الجنسية مثلا أي أنها تعتمد على السلالة.

العنصرية هي تشريع من المستعمر أو الفئة الحاكمة وصاحبة النفوذ الأكبر والسلطة لقوانين مختلفة يحاولون بها أن يثبتوا تفوقهم من كل النواحي على الشعوب الذين ينطوون تحت حكمهم، فهم يتمتعون بالعديد من الامتيازات والحقوق التي حرمت منها هذه الشعوب فشرعوا عنصريتهم بالقانون بعد تمتعهم بها من الوجهة العملية.

حيث نستنتج من هذه التعاريف الفكرة الأساسية وجوهر العنصرية أنها بالذات تفضيل مجتمع أو فئة على فئة أخرى لأسباب عديدة، اجتماعية كانت أو عرقية وطائفية، فحتى ضمن المجتمع الواحد وضمن نفس الثقافة تتواجد العنصرية فهي كالمرض الذي ينتشر في كل خلايا الجسم والعنصرية كذلك انتشرت في أغلب تفاصيل حياتنا. فيكون الاختلاف ضمن المجتمعات النقطة الأساسية لاستغلالها في إبراز العنصرية وتفاقم المشكلة ولعلنا نمارسها بقصد أو بدون قصد في كل يوم، مثلا في بعض الأسر يفضل الأهل الأولاد على الفتيات، أو تفضيل شخص على آخر لوجود بعض الميزات التي تميزه عن غيره كلون بشرته، أو انتمائه إلى جماعة ما من قبيلة أو عشيرة

أو حتى قوم ما، أيضاً في مجال العمل الذي يمارسه، ففي مجتمعنا يختلف معاملة الناس فيما بينهم حسب نوع العمل فالطبيب مثلا يحظى بالاحترام والتقدير أكثر من الفلاح مع إن كلاهما مكون ومبدع في المجتمع إلا أن المجتمع يقدر الطبيب أكثر من الفلاح فتتشكل التفرقة وتتفاوت الطبقات. وإذا ما حللنا طبيعة العلاقات الاجتماعية بدقة سنكتشف الكثير من العثرات التي تعرض لها المجتمع من ناحية العنصرية. فالعنصرية دائما ما تحدث نفسها باستمرار فأصبحت قضية عالمية يعاني منها العديد من المجتمعات، ولا سيما في الشرق الأوسط، فقد خلفت ورائها حروب دموية وصراعا للثقافات. لذلك لتوضيح مفهوم العنصرية يجب معرفة أن تفضيل مجتمع على آخر، ليس إن هذا المجتمع غني من كافة النواحي لا بل الفكرة الأساسية هي محو المجتمعات من الوجود.

أسس العنصرية:

للعنصرية عدة أسس تعتمد وتستند إليها وهي الأفكار الأساسية التي شكل لدى المجتمعات أو الأنظمة الحاكمة نزعة العنصرية.

وهي كالتالي:

أولا: لون البشرة، تحدث هذه المشكلة دائما بين البيض والسود فالسود يعانون بشكل كبير من هذه التفرقة العنصرية في كافة بلدان العالم، بالرغم من تشاركهم نفس اللغة أحيانا ونفس الثقافة ونفس الأرض إلا أن لون البشرة ما يجعل البيض يميزون أنفسهم بأنهم أفضل من السود، ليس فقط ذلك بل أدى إلى أن البيض يقومون باستعباد السود حيث كانوا يرون السود سلعة ككل السلع التي تباع في الأسواق فقد كانوا يباعون في سوق النخاسة للعمل ويكونوا أداة الإنتاج الأولية، بالرغم من مرور مئات السنين والتطور الحاصل إلا إن العنصرية تجاه السود مازالت قائمة مثلا في جنوب إفريقيا وأمريكا يعاني السود من العنصرية بأقسى أنواعها. هذا ما أدى إلي شعور بعض القوميات بأن صراع ما تهدد هويتها ومحو ثقافتها وعدم احترامها لذلك ظهرت فكرة العودة إلي الجذور والاهتمام بالثقافات واللغات الأفريقية من قبل بعض الطلاب الذين درسوا في الجامعات الأوروبية أمثال إيمي سيزار ورفاقه من بينهم ليوبل ود سيدور سنغور حينما وجدوا النظرة الدونية من قبل الأوربيين للإنسان الأفريقي ومن ثم لغته وثقافته محاولاً إيمي الإنكار والرفض لتلك الأفكار والتصورات فيما ذهبوا إليه

الأوربيين عبر العودة إلي الجذور ولذلك قال سيزار (نعرف عن أنفسنا عبر العودة إلي جذورنا واكتشاف ذاتنا) رافضاً النظرة المختلة بالرجوع إلي التاريخ والحضارات الأفريقية القديمة التي سبقت حضارات شعوب العالم في الإنسانية مستدلاً أن الثقافات الأفريقية مثلها مثل جميع ثقافات شعوب العالم ويجب احترامها، ما وقع فيه الأوربيين من أخطاء شنيعة في حق الإنسان الأفريقي بفرض ثقافتهم ولغتهم ودينهم لم يكتفوا بذلك بل وصلت الوحشية إلي درجة استعمار القارة الأفريقية واستعباد شعوب القارة السمراء وممارسة تجارة الرق وغيرها من الممارسات اللاإنسانية.

ثانيا: القومية: وهي أيضا من أهم أسس العنصرية والتي يرى قوم ما أنه القوم الأفضل والأرقى بين جميع الأقوام، كالشعب اليهودي الذي يرى نفسه شعب الله المختار. كما أن ضمن الدولة الواحدة ترى القومية الحاكمة للدولة هي القوم الأفضل والذي يحق له فرض نفسه على باقي الأقوام مثالاً هو ما عاشته الشعوب في الشرق الأوسط وخاصة في سوريا منذ عقود. فالعنصرية من جانب القومية هي أخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعوب، فالذي تعرض له اليهود هو نتيجة تراكم العنصرية القومية، ومجازر عديدة وقعت في التاريخ نتيجة لعنصرية الدول القومية، حيث مارست الدول القومية كالنظام البعثي في العراق ضد الشعب الكردي بارتكاب مجزرة حلبجة وأنفال والنظام التركي على الشعبين الكردي والأرمني في مجزرتي ديرسم وروبوسكي ومحارق الأرمن.

ثالثا: الثقافة واللغة: تعتبر اللغة والثقافة نقطة حساسة في تغذية روح العنصرية، حيث يفرضون ثقافة أو أيديولوجية ما سواء كانت دينية أو فكرية فما هي إلا محاولة لطمس هوية الشعوب الأخرى عبر استخدام المقدس الديني لإثبات عالمية رسالتهم واللغة والدين لإعادة إنتاج الثقافات في بوتقة الثقافة المهيمنة (الدولة التي تمارس العنصرية)، لم يخلو تجربة الاتحاد السوفيتي الفاشلة في محاولة إعادة إنتاج الثقافات في بوتقة اللغة والثقافة الروسية على دول الاتحاد السوفيتي التي لم تتحدث اللغة الروسية ونتيجة للقهر الثقافي الآن كثير من دول الاتحاد السوفيتي سابقاً، تتحدث اللغة الروسية على سبيل المثال دولة أوكرانيا، أما بلد كالسودان يعاني من الصراع بين الثقافات في محاولة جدلية لفرض لغة التعامل في دواوين الحكومة وتدريس اللغة العربية في المؤسسات التعليمية دون مراعاة التعدد الديني واللغوي والثقافي وهي نقطة محورية ونقطة تساءل في هيمنة اللغة العربية والدين على مؤسسات الدولة، وجعلوا التحدث باللغة العربية مقياس للإنسان المثقف الذي يتحدث العربية والنظرة الدونية للإنسان الذي يتحدث لغته والتقليل من قيمة اللغات الأخرى وهي الأفريقية بأنها لغات محلية، نتساءل كيف انتشرت اللغات الذي يقال أنها عالمية وما هو أسباب انتشارها، كالإنجليز والفرنسيين فرضوا لغتهم وثقافتهم عبر بوابة الاستعمار وقهروا الشعوب منها الأفريقية للتحدث بلغتهم وتدريسها في مؤسسة التعليم كالنظام الذي شيده المستعمر، لذلك صارت عالمية ليست علمية كما يروج له أصحابه لأن الصين واليابان والهند من الدول الصناعية، إذن لماذا لم تكن اللغة

اليابانيـة أو الهنديـة لغـات العلـم والـزعم بـأن اللغـة الانجليزيـة لوحـدها أو الفرنسية هـي لغـات العلـم وهـذا مـا يشـير إلـي أن هنـاك صـراع بـين الثقافـات ولـيس ببعيـد حينمـا زعـم ديكـارت بـأن اللغـة الفرنسـية هـي لغـة العلـم وجـاء بمبـررات لإثبـات مـدى صـحة حديثـه ولا يـزال الصـراع قـائم بـين الثقافـات. أيـن موقـع ثقافـات الشـعوب الكرديـة والارمنيـة والأفريقيـة مـن تلـك الصـراعات التـي تهـدد بقائهـا واسـتمراريتها وهـم يتحـدثون الإنجليزيـة والعربيـة والفرنسـية والتركيـة الفارسـية الـخ...، تـاركون لغـاتهم دون تطويرهـا وتأسـيس مراكـز ثقافيـة للحفـاظ علـى الثقافـات واللغـات لتلـك الشـعوب، فـي الوقـت الـذي يتحـدث فيـه الشـعوب الأفريقيـة الكرديـة والأرمنيـة اللغـة العربيـة والإنجليزيـة والفرنسـية والفارسـية والتركيـة، لا يحـاول أصـحاب تلـك اللغـات تعلـم لغـاتهم لـدونيتها والتقليـل مـن شـأنها والسـعي الجـاد لتأسـيس المراكـز الثقافية في بلدان هذه الشعوب لتطويع تلك

الشـعوب وانقيـادهم نحـو اللغـة والثقافـة وهـو مـا يـدعى الاسـتعمار الثقـافي واللغـوي الـذي يحـاول أصـحاب اللغـات التـي ظهـرت الاكتشـافات بلغـتهم ونزلـت الأديـان بلغـتهم لجعلهـا سـبباً لفرضـها علـي الآخـرين وإخضـاعهم للتحـدث بهـا ومحاولـة الآخـرين دون وعيـاً وإدراكـاً مـنهم الانجـراف خلفهـا وأحيانـا باسـم القوميـة والوحـدة الوطنيـة يسـعى أصـحاب الثقافـة المسـيطرة علـى الدولـة بفرضـها علـى المجموعـات العرقيـة والثقافيـة التـي تختلـف عنهـا عرقيـاً وثقافيـاً ودينيـاً لتوحيـدهم فـي إطـار ثقافـة ولغـة واحـدة تجمـع بيـنهم أو مـن خـلال المنـاهج الدراسـية لتمريـر ثقافـة الفئـة الحاكمـة وتدريسـها علـى القوميـات الأخـرى لـذلك ظهـر مفهـوم الأقليـات

الثقافية والدينية والعرقية للإشارة إلى المجموعات المضطهدة ثقافياً ودينياً وعرقياً من قبل الأغلبية أو الأقلية الحاكمة التي تسيطر على مؤسسات الدولة وتعكس عبرها ثقافتها ولغتها ودينها مما يقود إلى ظاهرة الصراع الثقافي والعنصري بتنافر الثقافات مع بعضها البعض بدلاً من الانسجام وللحد من هذا المأزق يحتاج لمزيد من الدراسات العلمية والأبحاث الأبستمولوجيا كما يتطلب أيضاً من المنظمات العاملة في حقوق الإنسان والمهتمين بالشأن الثقافي العمل لوقف الهيمنة الثقافية والقهر الثقافي والاستعمار والاستلاب الثقافي من أجل وقف سيادة مجموعة ثقافية أو عرقية أو دينية على الأخرى من أجل بقاء جميع الثقافات وحفظها من الاندثار. استخدمت السلطة الثقافة واللغة أيضا لترتكز عليها في دعم بنيتها، عندما نقول الثقافة واللغة فنحن نتحدث عن الجانب الأكثر جمالا للمجتمعات بينما تسخرها السلطة من الناحية العنصرية وكأنه يقول لماذا أنت مختلف عني. فالسخرية من ثقافات الشعوب ولغاتها ووصفها بالثقافات البربرية إنما هي أعتى وأخطر ممارسة تعسفية بحق الشعوب.

رابعاً: العادات والتقاليد: إن العادات والتقاليد هي جزء من ثقافة المجتمعات وهي مجموعة من القواعد التي تسير عليها جماعة أو مجتمع ما لتنظيم مجتمعهم، حيث تختلف وتتباين العادات من مجتمع إلى آخر حسب طبيعة الثقافة والأيديولوجيا التي يؤمن بها كل مجتمع. وهذا ما يعتقد الأوروبيين أن لديهم عادات أفضل من دول الشرق الأوسط، حيث يرون إنهم متخلفين. حتى في مجتمعنا كأقرب مثال يوجد بعض الناس يفرقون بين سكان

القرى وسكان المدن على إن سكان المدن هم متحضرون وواعيين أكثر من سكان القرى وأنهم يعيشون حياة جاهلية. وكل هذه المفاهيم هي من خلق الهيمنة التي تريد إضاعة عراقة وأصالة الشعوب وأكثر مثال يمكننا الحديث عنه هو خسران روح التشاركية والتعاون في المجتمع.

خامسا: المعتقدات: هي الأفكار التي يؤمن بها مجتمع ما وهذه الأفكار انعكاس لنمط الفكر والروح المعنوية وإظهار هذه الأفكار والروح المعنوية بشكل مادي كمراسيم دينية، فلسفية، مذهبية وطائفية. حيث تستغل الذهنية العنصرية الآراء السياسية مثلا أو التضاد في المعتقدات الدينية لدى بعض الجماعات في خلق الصراع. إن أغلب هذه التوجهات تمتلك الطابع القومي التي تمنحها القوة والسلطة وتقبل الدولة القومية لآرائهم، لاستمرار حالة الصراع بين كل الجماعات المختلفة في الفكر أو النظم التي تسير عليها مختلف التنظيمات مما يشكل خللا في البناء الاجتماعي. إنها حقا نقطة استغلال خطيرة توقع بالكثير من الأنظمة بالحروب والاقتتال. ودائما ما يتم رد الأفكار الديمقراطية وتأسيس أفكار معادية لها وليس فقط التضاد معها بل محاربتها إعلاميا، سياسيا وعسكريا.

سابعا: الطبقات الاجتماعية: إنها أيضا من أهم أسس العنصرية، فبدئا من كهنة سومر وإلى يومنا الراهن نعاني من هذه المشكلة. فالكهنة السومريين قسموا المجتمع إلى طبقات طبقة الرهبان، طبقة الجيش والطبقة الأدنى وهو المجتمع، فكان المجتمع ينجر وراء أكاذيب الكهنة ويعتبرونهم القدوة فقد أسس الرهبان ذلك

النظـام علـى أسـاس أيـديولوجي يمكنـه فـي الـتحكم بـالمجتمع دون أن يتعـرض لأي عوائـق وإقنـاع المجتمـع أنهـم المتحـدثون باسـم الإلـه. إن معاملـة الأفـراد هنـا يعتمـد علـى مكانتـه الاجتماعيـة. ففـي عصـور العبوديـة والإقطاعيـة، كـان الإقطـاعي مالـك الأرض والفـلاح هـو العبـد الـذي يعمـل عنـده بـلا مقابـل حتـى إنـه لا يملـك أي حـق ولا يسـتطيع الـزواج أيضـا، كمـا لـو بـاع الإقطـاعي أرضـه بـاع معهـا الفلاحـين أيضـاً. اسـتمرت هـذه المشـكلة فـي عصـرنا الـراهن وكـان الأغـا يـرى نفسـه ذو المكانـة الأفضـل فـي مجتمـع القريـة وعـادة مـا كـان يحـدث صـراعات بـين الأغـا والفلاحـين وهـذا الأمـر حـدث حتـى بعـد انتهـاء العصـر الإقطـاعي، مثـالا أيضـا لـو كنـت فقيـرا لا يمكنـك الـزواج مـن أسـر الغـواة ومـالكي الأراضـي. فتطغـى غالبـا فكـرة الغنـي أفضـل مـن الفقيـر ويـتم استصـغار الفقيـر. فالمراحـل التاريخيـة تكمـل بعضـها ضـمن هـذا التوجـه اللاأخلاقـي الـذي شـكل أسـاس الطبقـات الاجتماعيـة وتوارثتهـا إلـى العصـور التـي تليهـا. كـل الممارسـات التـي حـدثت فـي التـاريخ تعـد الـدافع الأساسـي لقيـام السـلطة التـي تتمثـل بحفنـة مـن الحكـام والأنظمـة السـلطوية إلـى اسـتمرار مـا كانـت تقـوم بـه فـي الماضـي. لأن الأسـلوب القـديم لـم يعـد مجـديا بـدأت بخلـق أسـلوبها الجديـد التـي تواكـب وتناسـب العصـر، لـذلك بعـد قيـام الكثيـر مـن الثـورات الغربيـة التـي تنـاهض العنصـرية والطبقـة فقـد أجبـرت السـلطات إلـى تغييـر أسـلوبها إذ أن أسـلوب العنـف لـم يعـد يسـيطر علـى ثـورة المجتمعـات. فبـدأت باسـتغلال العلـم وصـقل قـوة الدولـة مـن خلالهـا. فأنظمـة الحكـم التـي نعيشـها وبخاصـة فـي الشـرق الأوسـط أنمـا هـي هـرم الطبقـة، فكرسـت طبقـة المثقفـين

والبيروقراطيين كتقييد عملية التطور الاجتماعي وإبراز طبقة أخرى وهي الجاهلين والمثقفين. لا يوجد أي منطق ومبدأ أن هناك ناس جاهلين بالفطرة أو هناك مثقفين بالفطرة إنما هي نتيجة إقناع السلطة للمجتمع بهذا التوجه وخلق حالة اللامساواة بين الناس فقد عمدت الدولة إلى ذلك كما حدثت في سوريا عندما حرمت الدولة التعليم للكثير من الناس. إن جميع الأساليب هي نفس الفكرة إلا إن الاختلاف يكمن في التطبيق العملي لها، فإن أكثرها حدة على المجتمع هي فرض الطبقية على المجتمع من خلال الإقناع والحرب الخاصة، فيمكن بسهولة أن يستعبدوا المجتمع ويحولوه إلى طبقات. أكثرها ضياعا للمجتمع إذا رأى نفسه العنصر الأقل أهمية والأقل فاعلية فيقبل على نفسه العبودية ويقبل بتشكل الطبقات الاجتماعية.

التمييز العنصري:

إن الاختلاف والتباين بين الأشياء وبين كل عنصر في هذا الكون وحتى بين المجتمعات يشكل أهم بنية لاستمرار هذه الحياة وإضفاء المعنى الجمالي إليها. إن أحد أهم الأسباب الأساسية لتكوّن الحياة هي الاختلاف، حيث لا يمكننا أن نقول أن الحياة على وجه الأرض هي للإنسان أو للنبات أو للحيوان. فقد أعطت الطبيعة لنفسها الهوية والتاريخ والمعنى بتكوينها للإنسان. لكن الإنسان خلال الزمن سرعان ما وصف نفسه بالمالك بالذات الفاعلة على الطبيعة، تعالى على الطبيعة وميز نفسه عنها. حتى غدا الإنسان الأكثر ظلما على الطبيعة فهو

بـذلك ميـز وفضـل نفسـه عـن الأم التـي هـي الطبيعـة أم الإنسـانية. بـدأت نزعتـه الوحشـية بـالظهور وسـرعان مـا رأى نفسـه إنـه الأقـوى ويجـب أن يسـخر كـل شـيء لنفسـه، فبـدأ باسـتبعاد الإنسـان لبنـي جنسـه. فقـد حـدثت فجـوة كبيـرة فـي التـاريخ مـن حيـث تمييـز النـاس فيمـا بيـنهم ومـن مجتمـع الـى آخـر. الـذي حـدث فـي التـاريخ لا يمكننـا أن نتجـاوزه ونفسـر التمييـز العنصـري علـى إنهـا مشـكلة تواجهنـا فـي الوقـت الـراهن بـل إن جـذورها التاريخيـة هـي أصـل مشـكلتها اليـوم، ففـي كـل عصـر لـه الأسـلوب العنصـري الخـاص بـه وممارسـتها المختلفـة فـي كـل مجتمـع والسـلطة الحاكمـة عليهـا. فالسـلطة إلـى حـد كبيـر اسـتطاعت الـتحكم فـي الشـعوب مـن خـلال خلـق حالـة الفوضـى وإحـداث الثـورة المضـادة. بـالرغم مـن ظهـور الكثيـر مـن الثـورات، الأديـان والفلسـفات الديمقراطيـة إلا أن السـلطة تمكنـت مـن تغييـر مسـاراتها والتـي هـي الثـورة المضـادة. التمييـز العنصـري مـن أخطـر الممارسـات اللاأخلاقيـة فـي التـاريخ فنتيجتهـا قامـت حـروب دمويـة وتعرضـت العديـد مـن الشـعوب إلـى الانصـهار، محـو وجودهـا وهويتهـا وبـذلك إضـاعة أجـزاء قيمـة من التاريخ.

تتمثل العنصرية في التمييز بين الأشخاص والمجتمعات وتكوَن الشعور بعدم الرغبة في وجودهم، حيث تقسم إلى نوعين وهما:

1- التمييز العنصري المباشر: نجد في هذا النوع طريقة التمييز حيث يختلف التعامل مع الأشخاص حسب الظروف التي يعيشونها والحال الاجتماعية لهم، كما للصفات الجنسية والفيزيكية دور أيضا.

2- التمييز العنصري غير المباشر: تكون العنصرية في هذا النوع هي بفرض قوانين وشروط بدون أسباب لصالح فئة معينة وعلى حساب فئة أخرى.

لمحة تاريخية عن نشوء العنصرية: نشوء العنصرية عبر التاريخ

رغم حداثية مفهوم العنصرية في العصر الأخير إلا أن ممارستها العملية ظهرت للعيان كفكرة أيديولوجية حيث استطاعت الهيمنة التأثير على العقل الاجتماعي في ذلك الزمن، أنها عميقة للغاية وكانت أكثر مرحلة حساسة للتحول من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع العبودي والتي ما زلنا نسعى لإحيائها، نعم إحياء المجتمع الطبيعي التي توحد المجتمع مع الطبيعة وفق النظام الطبيعي الكوني وحينما تلقت الأخلاق والسياسة المجتمعية الضربة العنصرية الأولى من الرهبان ظهر الشرخ القائم الذي عاشته المجتمعات وما زلنا نعيشها حتى هذه اللحظة. كانت أول خطوة هي التأثير الفكري على المجتمع، تعرف تلك

المرحلة بالمرحلة الهيارشية، وكان ذلك التحول فرصة كبيرة للسلطة لإنشاء نظامها والتي امتدت عبر آلاف السنين وصولاً ليومنا الراهن. إنها العنصرية، عنصرية غير مباشرة وقد تولدت فيها تلك الفكرة التي تشبع الفكر السلطوي. كانت العنصرية آنذاك تعتمد على تضليل المجتمع وإخضاعها لهيمنة السلطة وتقبلها وإقناع المجتمع بألوهية ما يفعلونه.

كما أكد القائد ابو في مرافعته من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية على أن" العلوم الاجتماعية وفي مقدمتها علم الآثار القديمة وعلم الأجناس واللاهوت، ولاسيما النتائج التي وصلت إليها في القرن الماضي بعد الدراسات الشاملة، إن السومريين هم أول مجتمع بشري قد أقاموا الدولة. إن رواد هذه المرحلة بقدر ما كانوا منظّرين كبار في البداية، فإن الطبقة التي تشكلت من الذين يقومون بمهمة وظيفية كإداريين لهم دور في التنظيم العملي للإنتاج كانت في مرحلتها الجنينية. وكان الانتقال من مرحلة الكهنة إلى مرحلة الملوك الكهنة أمراً لا يثير النقاش، لأن الأرضية المادية والمعنوية كانت قد تطورت بشكل كاف. وعندما ندرس الميثولوجيا السومرية من خلال النصوص الموجودة نستطيع فهم سبب وصف السومريين لكل شيء قاموا به بأنه نظام إلهي. فقد آمن الناس في تلك المرحلة بأن النظام الذي شكله الكهنة هو نظام سماوي على الأرض وليس هو النظام الذي خلقه البشر. وكان النمط الأساسي للفكر يعتمد على الإيمان وليس على المعرفة. وإن نظام

الآلهة كان يعتبر كل شيء. وكانوا يؤمنون بذلك من صميمهم بلا أدنى شك.

كان العبيد عبارة عن ظل وعبد منذ الألفية الرابعة حتى الثانية قبل الميلاد. وكان يتوجب على الجميع ابتداءً من الملك الكاهن وحتى كادحي الأرض، التحرك كل حسب موقعه المحدد، مثل القانون في النظام الذي كان يسري في المعابد. ومثلما تكون حركة النجوم ذات نظام ثابت في السماء، هكذا من الضروري أن يكون الحال على الأرض أيضاً. حتى أنه لا يمكن التفكير في ذلك بطريقة أخرى. ويوجد معنى لجميع العواطف، فهي كما يشاء الإله في إطار مفهوم هذا النظام. ولا يمكن أن يكون للشخص عاطفة كما يريد، ولا تفكير مختلف عن عالم تفكير الإلهة. فهناك نظام أزلي سرمدي، هو نظام المشيئة الإلهية."

هذا ونستطيع إرجاع الممارسة العملية للعنصرية إلى الذهنية الذكورية التي أنشأها الرهبان السومريين حيث قاموا بخلق إنسان العبد والخادم للآلهة والزقورات السومرية، هذه الممارسة هيئت الأرضية التي بدأت الطبقية بالظهور ضمن المجتمع، ومنذ ذلك الوقت دخل المجتمع البشري في صراع مع البعض من أجل البقاء للذهنية التي فرض عليهم الكهنة حتى اليوم، هذه الذهنية ظهرت بأشكال ومفاهيم مختلفة من العرقية، الأثنية، الجنسية، السلالاتية والمذهبية.

إن شكل النظام الذي عاشه المجتمع في تلك العصور، كانت القبلية. حيث إن التنوع والتعدد الثقافي والعلاقات الاجتماعية التي تربط تلك القبائل كانت ذو طابع أخلاقي وسياسي، وأثرت بدورها في كل النواحي الحياتية في المجتمع، ولم تقبل الهيمنة والسيطرة تحت أي قوة كانت. إن نظام القبيلة لم يكن الشكل المهيمن بل كان نظاماً أخلاقياً يحمي كل مجموعة. دائماً كانت الضربة تتوجه نحو نسيج المجتمع الأخلاقي السياسي في نظام القبيلة، بغية إفراغها من طبيعتها الأخلاقية التي تماشت مع تعدد الثقافات على هذه الأرض عبر التاريخ، ومع ظهور العصر الإقطاعي كانت المحاولات دائماً هي عدم السماح للقرى والأسر بتكوين القبيلة والعشيرة، أي عدم وصول الأسر المسحوقة إلى مرحلة تكوين القبيلة، بغية تشتيتها وعدم استقرارها وبالتالي تفشي العديد من المشكلات، كالفقر والجوع والمرض مما جعلتها أسر مشتتة تهاجر للبحث عن المعيشة.

حيث أن الذهنية الأبوية البطرياركية التي نتجت عن هيمنة الكهنة السومرية، قد خلقت العبد وبالتالي كان هنالك قوة تحمي أفرادها من الاستغلال والعبودية، وبنفس الوقت كان شكل المجتمع الأخلاقي والسياسي، في تلك المرحلة هي القبيلة والعشيرة. بما أن القبيلة والعشيرة تشكل القبة التي تحمي أفراد المجتمع، فأن الذهنية الدولتية في تلك المرحلة التي خلقت الطبقية وكونت الأرضية الاستغلالية وبالتالي تفشي مفهوم العنصرية بين المجتمع، قد هاجمتها بألية

خبيثة ومهيمنة. حيث أطلق على المجتمع المناهض لهذه الذهنية البطرياركية وعدم تقبل أن يكون أفرادها عبيداً، بالبرابرة والمتوحشين، ومنذ ذلك العصر بدأت هجمتها العنصرية على المجتمع، وفي كل مرحلة بأشكال ومفاهيم مختلفة ولكنها في جوهرها، حيث تقوم بتشتيّت المجتمع وإفراغه. مع ذلك أصبح هذا النظام عالمي وكوني، حيث انتشر في جميع الحضارات وبقاع العالم، وهناك أمثلة كثيرة عن أشكال هذه الذهنية العنصرية عبر التاريخ. هناك ملحمة سومرية تسرد كيف أن ملوك الآلهة قد خلقوا من نور الإله، والعبيد من براز الآلهة، وكما أن الفراعنة المصريين كانوا يقولون عن العبيد بأنهم أشياء وكائنات خلقت من أجل خدمة الفراعنة في رحلة الأخرة، حيث أنهم يحملون الأكل والشراب من أجل رحلته في الآخرة. وكما أن هناك نظرية ثيوقراطية ودينية على أساس أن الدولة هي نظام ألهي خلقها الرب ومصدر السلطة فيها وأن الحكام مختارين من الإله وبالتالي إرادتهم تسموا على إرادة المحكومين. هذا وقد انتقلت الذهنية الطبقية والعنصرية التي خلقها الكهنة، إلى المجتمع الأمريكي مع اكتشاف القارة من قبل الإنسان الأبيض، وهذا ما دفعهم إلى القول بأن الإنسان الأسود أقل درجة من الإنسان الأبيض من جميع النواحي، وخاصة الفكرية.

يعتبر كثير من الناس أن العنصرية الحديثة ولدت مع حركة العبودية التي تلت الكشوف الجغرافية في نهاية العصور الوسطى، حين تم نقل قسري لملايين من الأفارقة للعمل

عبيداً في مستعمرات العالم الجديد. غير أن مراجعة التاريخ تثبت أن الممارسات العنصرية أعمق في عمرها من ذلك.

فالخطاب العنصري الحديث يستند إلى كتابات الفلاسفة القدماء وعلماء اللاهوت في القرون الوسطى، فمفاهيم التفوق البيولوجي بدأت مع الثقافة الهيلينية التي وجدت في الأخرين برابرة، بالإضافة إلى التقسيمات الداخلية بين الذكور والإناث والعبيد، واستمر تصنيف الناس وفقاً للونهم في كل من الحضارتين الرومانية واليونانية القديمة، حيث ارتبط التحيز للون الأبيض بالقيم الإيجابية، بينما اقترن اللون الأسود بالموت والجحيم، بل إن القرن الأول الميلادي شهد تصنيف البشر لدى عدد من الفلاسفة إلى أجناس راقية وأجناس بشعة.

وبدءاً من العصور الإمبريالية والتوسعية تزايدت مقارنة الناس الغرباء بالحيوانات وغيرها من أشكال الخوف من الأجانب والكراهية العرقية، وكان أكثر الشعوب الموسومة بالكراهية والبشاعة لدى الأوروبيين كل من الفرس والمسلمين المشارقة ثم البربر المور يكسين (المغاربة) لاحقاً. وبالتزامن شاع وصف الأسيويين في أوروبا بالشعوب الدنيئة.

وبالرغم من أن اليهود يشتكون دوماً من أنهم تعرضوا لممارسات مجحفة وكراهية من قبل عديد من الشعوب التي عاشوا فيما بينها، فإن العبرانيين القدماء كانوا عنصريين في نظرتهم للشعوب الأخرى من "الأغيار"، وسعوا إلى

الحفاظ على نقائهم العرقي وحمايته من التهجين، خوفاً من أن يؤدي إلى تطور سلالة من العمالقة المتوحشين. ومع النصوص التوراتية تم توسيع وتأويل النص المقدس، فصنفت الشعوب الكنعانية (أجداد الفلسطينيين) وبقية شعوب أفريقيا السوداء بأنهم ملعونون من الرب بالعبودية الأبدية وسيظلون عبيداً للباركين من أبناء نوح وهما : سام (ومن نسله اليهود)، ويافث (ومن نسله الشعوب التي انتشرت في أوروبا وأسيا)، وقد تأثر عدد من المؤرخين بالنصوص التوراتية واستخدمها الحكام والملوك لتبرير العبودية على مدى آلاف السنين. هكذا كان الشيطان أسود اللون ، وهكذا كانت الملائكة بيضاء مجنحة (هل تخيلنا أن ثمة ملائكة سوداء ؟!)

ومع توسع الحملة الإسلامية في شمال أفريقيا حيث شكلت خطر وتهديد للمسيحية والشعوب الأوروبية وبذلك اكتسبت العنصرية وكراهية الشعوب شكلاً جديداً وأكتر توسعا بين الغرب والشرق. واكتسبت مبادئ كراهية السود والخوف من الإسلام دلالات عدائية. فالموضوع الرئيسي في أوروبا المسيحية كان معارضة المسلمين والتحقير من شأنهم وتصويرهم كبرابرة احتلوا الأراضي المقدسة بطريقة غير شرعية، ومارسوا عنفا وحياةً جنسية همجية غير متحضرة. وينظر المسلمون إلى الفتوحات الإسلامية في إفريقيا باعتبارها نقطة تحول في تاريخ القارة، حملت معها رسالة التنوير والإخاء والمساواة ونبذ التعصب، حيث لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، لكن

في المقابل يرى كثير من المؤرخين الأوروبيين أن تجارة العبيد-التي انتشرت مع الكشوف الجغرافية والاستعمار ما سمي بالعالم الجديد منذ نهاية القرن الخامس عشر-قد وجدت أسسها على يد العرب في أفريقيا، مدللين على أن وسطاء تجارة العبيد في القارة كانوا من العرب.

التاريخ الحديث يحتفظ بأبرز صور التخلص من الشعوب غير المرغوب فيها في حركة الاستعمار الأوروبي في العالم الجديد حين بدأت في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر عمليات احتلال أوروبي منظمة تجاهلت خلالها حقوق السكان الأصليين في الأرض التي عاشوا عليها وأقاموا عليها حضارات مشهود برقيها، وبرر الغزاة عنصريتهم تجاه هذه الشعوب بمبررات دينية تحمل شعار إنقاذ أرواح السكان الأصليين من الكفر و الضلال ونشر المسيحية بينهم، بل إنه حين بدأت عمليات إبادة للسكان البدائيين كان التبرير أن ذلك جزء طبيعي من التقدم نحو الحداثة الإنسانية. وفي سياق الاستيطان الاستعماري قتل ما بين 15 إلى 20 مليون إنسان من الأفارقة الذين تم نقلهم عنوة إلى مستعمرات العالم الجديد.

وفي العقود الاخيرة قامت حوادث مخزية من الإبادة الجماعية بين القبائل والجماعات البشرية وبعضها البعض، مدعومة وممولة من قبل القوى الاستعمارية السابقة، على نحو ما نجده في أبرز الأمثلة في رواندا خلال تسعينيات

القرن العشرين والتي راح ضحيتها بإبادة جماعية قرابة ثمانمائة ألف شخص.

أسباب العنصرية:

لا يمكن أن تنشأ العنصرية بدون سبب فأسباب العنصرية عديدة وهي مرتبطة ببعضها البعض ومتداخلة فيما بينها ضمن سلسلة منظمة من الأفكار الدوغمائية بتأثير شديد من السلطة. وهذه الأسباب لها تأثير كبير في خلق المشكلة ضمن الطبيعة الاجتماعية للمجتمع، هذا وبالإمكان رد العنصرية إلى عدة أسباب:

ا-أسباب سياسية: حيث أن نظام الدولتية القومية التي نتجت عن السياسة البريطانية العنصرية (سياسة فرق تسد) مارست على جميع شعوب العالم وخاصة الشرق الأوسط ومن هذه السياسات التي مارستها الدولة القومية على شعوب المنطقة وعلى المكونات الموجودة على جغرافيتها، وهذا ما فرض عنصرية سياسية من قبل هؤلاء الحكام والدكتاتوريين بين الشعوب وأفراد المكونات. في بعض الأحيان الحكومات تستخدم وتنشر العنصرية عن طريق الجهات الإعلامية المسيسة والشعوب المستعبدة وذلك لتبرير قمعها المنهجي والمنظم ولتبرير انتهاكاتها لحقوق الإنسان.

ومنها الحكومة السورية والتركية التي ظلمت الشعب الكردي الذي عاش القمع والاضطهاد والثورات من تنظيم وإدارة شعبها

ومن السوء أنهم كانوا ضحية صراعات الآخرين وأطماعهم وفاشيتهم، واتفاقات ظالمة كاتفاقية لوزان وسايكس بيكو التي قسمت الشعب الكردي إلى أربعة أجزاء رغم عددهم البالغ أكثر من 30 مليوناً في العالم، كما كانوا ضحية تحالفات دول يتواجد فيها الكرد بحجم أكبر لغلق منافذ الحياة عليهم، ومنعهم من التنمية السياسية والمعرفية، فأغلقوا على أبنائهم التعلم والنطق بلغتهم، وتفننوا في قمعهم واضطهادهم، والأهم من ذلك هو قتل أحلامهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم. حيث تمارس القوانين والسياسات الحكومية الرامية إلى منع التجنس والهجرة بين المكونات من مختلف الثقافات والأديان ويسبب ذلك بشكل كبير العنصرية بين جميع أفراد المجتمع.

ب-أسباب اجتماعية: مع الظروف التي مرت بها المجتمعات وخاصة في القرن الأخير حيث الهجرة والمجاعة والفقر وظروف الحرب التي أرست على العالم وخاصة الشرق الأوسط، حيث انتشرت ظاهرة التشرد والجوع وبشكل منظم ومسيس ظاهرة الهجرة وهذا ما فرضت على بعض المجتمعات ممارسة ظاهرة العنصرية على الأجانب والمهاجرين إليها.

ففي القارة الأوربية يرى الكثيرون من الطبقة العاملة أن المهاجرين غير البيض أو غير الأوربيين بشكل عام يشكلون تهديداً لمنازلهم وأحيائهم السكنية ووظائفهم ومدارسهم وأمنهم الشخصي والعائلي. ويؤدي ذلك إلى هجوم وعنف من قبل المواطنين ضد المهاجرين، وتتزايد المطالب بضرورة الطرد والاستبعاد، وتنشأ الممارسات العنصرية وموجات الكراهية

بسبب أشكال مختلفة من الهيمنة سواء كانت إقصائية أو امتصاصية (استيعابية).

وفي العقود الأخيرة تفشت موجات جديدة من العنصرية مرافقة للهجرة العابرة للحدود، إذ تعد الهجرة ظاهرة عالمية حيث يعيش حوالي 175 مليون شخص في دول غير التي ولدوا بها. علاوة على أن أعداد المهاجرين منذ عام 1970 وحتى عام 2000تتزايد وتتضاعف بأعداد تقارب 21 مليون شخص في العقد الواحد، وبدراسة الأنماط التاريخية العالمية للهجرة تم التوصل إلى أن هناك أربع مراحل رئيسة اتخذتها الظاهرة منذ القرن السادس عشر وهي: (1) النقل القسري لحوالي ما بين 10 إلى 20 مليون عبد من أفريقيا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية ومنطقة البحر الكاريبي، (2) الهجرة القسرية الجزئية للعمالة بالسخرة والعبيد المقيدين حيث نقلوا من الهند إلى مناجم الفحم والمزارع في جنوب أفريقيا وبورما وجوايانا، وكذلك من الصين إلى جنوب أفريقيا والكاريبي وجنوب شرق آسيا، (3) هجرة طواعية للأوربيين إلى أمريكا الشمالية والجنوبية ووسط وجنوب أفريقيا وأستراليا مع نشأة الإمبراطوريات الاستعمارية، (4) هجرة ما بعد الحروب والتي تتخذ العديد من النماذج والأنماط كما حدث في الهجرة من دول العالم الثالث إلى الدول الصناعية، حيث إن هنالك حوالي 35 مليون شخص تندرج هجرتهم تحت هذا النمط.

إن القاسم المشترك بين حوارات الاتجار بالبشر استخدام القوة والاحتيال والقهر لاستغلال أشخاص ما من أجل تحقيق ربح.

وغالباً ما يكون الضحايا في هذه الحالة عرضة للاستغلال إما لأجل العمل الشاق وإما للاستغلال والقهر الجنسي أو كليهما. ويمكن تسمية ذلك باسم العبودية الجديدة التي تتجاوز جميع صور العنصرية التي عرفها التاريخ.

لقد قدرت منظمة العمل الدولية عدد الأشخاص الخاضعين للعمل الجبري والعمل المقيد وعمالة الأطفال الجبرية والعبودية الجنسية بنحو 15 مليون إنسان سنوياً عبر حدود الولايات المتحدة الأمريكية مع دول أمريكا اللاتينية فقط. ومعظم هؤلاء من النساء والفتيات.

كما ترتبط العنصرية ارتباطاً وثيقاً بمستوى معرفة الآخرين، فكلما كانت البيئة التي يعيش فيها الفرد منغلقة على ذاتها أكثر؛ كلما اكتسب عدد أكبر من الصور النمطية عن الآخرين وازدادت نظرته العنصرية تجاههم. وأيضاً لا ترتبط أسباب العنصرية بالكراهية فقط! بل قد تكون العنصرية شكلاً من أشكال الخوف والقلق الاجتماعي فالفئات التي تشعر بعدم الأمان ناحية محيطها الاجتماعي، تحاول أن تبني سياجاً للحماية غالباً ما يتحوّل إلى مرحلة متقدمة من العنصرية المتبادلة. ومن نماذج العنصرية كحالة من القلق الاجتماعي ما نراه في أوقات انتشار الأوبئة، حيث تسببت أوبئة الفيروسات التاجية بالكثير من الحوادث العنصرية ضد الصينيين وسكان شرق آسيا بشكل عام لأن العنصريين يعتبرون أن

كل من يمتلك شكل العين الآسيوية سيكون مصدراً محتملاً لنقل العدوى!

وكما هناك الكثير من أسباب العنصرية وممارسات العنصرية ومنها:

1-الطبقات الاجتماعية: حيث لها تأثير كبير في المجتمع، حيث أن تشكل الطبقات ينتج عن صراع بين طبقتين في المجتمع أو عدة طبقات مما يرسخ دعائم العنصرية أكثر في المجتمع ويجعل المجتمع في صراع دائم، وتكون هذه الصراعات عامل الضغط الأكثر حدة في السيطرة وخضوع طبقة معينة لهيمنة ثقافية واقتصادية وجعل المجتمع في حالة عدم استقرار وتفكك.

2- حاجة الشخص بأن يصبح على ما يرام وأن يكون إنسان مفيد بنظر من هم حوله هذا قد يسبب فيه الحاجة بأن يكون متفوق وأفضل منزلة من الأجانب والغرباء.

3-سماح عائلة أو قبيلة متنفذة لبعض المجموعات بالهيمنة بشكل هرمي سياسيا أو اقتصاديا أو دكتاتوريا قد يصنع شخصيات عنصرية تبحث عن السيطرة.

4-في بعض الأحيان الحكومات تستخدم وتنشر العنصرية عن طريق الجهات الإعلامية المسيسة والشعوب المستعبدة وذلك لتبرير قمعها المنهجي والمنظم ولتبرير انتهاكاتها لحقوق الإنسان.

5-الترويج لدعاية حد التمييز والمساواة قد يتسبب بشكل عكسي ويوقظ التمييز والعنصرية.

6-الشعور بحاجة بعض الاقليات بالحماية يجعلهم يصنعون "حقوق إنسان خاصة" عنصرية.

ج-أسباب اقتصادية: ينتج عن الوضع الاقتصادي أسبابا تؤدي إلى العنصرية بين أفراد المجتمعات والشعوب حيث أن الاقتصاد يلعب دورا فبتأمين الاحتياجات المادية الأساسية لأفراد المجتمع وعن طريق الهيمنة الاقتصادية تمارس الدول الضغط على المجتمعات حيث تقوم بممارسة سياسة تجويع الشعوب أو إغناء فئة أو طبقة محددة من أجل شرعنة التحكم والسيطرة على المجتمعات وخاصة في ظل النظام الرأسمالي العالمي أصبح الاقتصاد ساحة لخلق الصراع وتوجيه المجتمعات نحو العنصرية وخاصة جعل الطبقة الغنية الأكثر ممارسة للعنصرية. وأيضا ينشأ النزاع حول فرص التعليم والتوظيف، والصراع حول امتلاك رأس المال، وقد ينشأ الصراع بحثاً عن العدالة في تحديد الموارد وتخصيصها. أو لطمس قومية ومحو تاريخها، ويمكن للتدهور الاقتصادي أن يصعد من العداء بين الثقافات المختلفة عندما يرتبط بالبطالة وتقليص الثروات، ويمكن أن تلعب سياسات الهجرة دوراً كبيراً في هذا الصراع أيضاً. ويلعب عدم العدالة الاقتصادية دوراً كبيراً في تحفيز الصراع الاثني. وينتج عن عدم العدالة تلك إحياء

المزاعم القديمة وخلق مزاعم جديدة عن التعويضات وإعادة توزيع الثروات.

د-أسباب عرقية واثنية: تتعايش مجموعات كثيرة مختلفة ثقافياً وأثنياً بشكل سلمي فيما بينها، ولكن عند نقطة بعينها يتفجر الصراع، إما بسبب الإهانة المكشوفة لكرامة الجماعة الأثنية أو الثقافية، وإما بسبب التهديدات الملموسة للمصالح الحيوية لمجموعة أثنية أو ثقافية. ومن تلك الأمثلة نجد بأن العبودية والسخرة والعنصرية الحديثة فاقت في مداها تجارة الرقيق الأطلسية. فقد اتسع مجال العنصرية اليوم بحيث أصبح الأفراد كافة أهدافاً للعبودية الحديثة، وذلك بخلاف تجارة الرقيق الأطلسية التي كانت مرتكزة على الأفارقة من غرب القارة. كما أن النساء والأطفال قد أصبحوا ضحايا أساسيين للعبودية الحديثة. وهؤلاء الذين يتم شراؤهم وبيعهم واستعبادهم يأتون في الغالب من كل قارة، وليس من أفريقيا فحسب على نحو ما شهدت فترة الاستعمار الأوربي فيما سمي بالعالم الجديد. ويقدر من يتم استعبادهم على مستوى العالم بأكثر من 27 مليون شخص، وهو ما يفوق إجمالي ما تم تهجيره قسراً للأمريكيتين عبر تاريخ يمتد لأربعة قرون من تجارة الرقيق الأطلسية. وأيضا يظهر الكثير من نماذج العنصرية وممارسات من التحيز العرقي من مجتمعات أخرى، في مقدمتها اليابان التي تعد اليوم مقصداً للنساء والأطفال الذين يخضعون للإتجار بالبشر في الصين وجنوب شرق أسيا وأروبا الشرقية وبشكل أقل في أمريكيا اللاتينية، وذلك لأغراض

الاستغلال الجنسي، والعمل في نوادي التعري. وكذلك يتم الاتجار بالنساء والأطفال الصينين لاستغلالهم جنسياً أو في مجالات العمل المختلفة في ماليزيا وتايلاند وأستراليا وأوروبا وكندا واليابان وبورما. وتم الإيقاع بالعديد من الصينين عن طريق تقديم وعود زائفة لهم بوظائف. ثم يتم دفعهم إلى العمل القسري. كما تعد أستراليا أيضاً مقصداً للضحايا الذين يتم الاتجار بهم ممن ينتمون إلى شرق وجنوب أسيا وأوروبا الشرقية، وبالأخص جمهورية الصين الشعبية وكوريا وتايلاند.

وتستند العنصرية الاثنية والعرقية إلى أفكار ممنهجة وإيديولوجيا تعتمد على التفرقة بين الجنسين واللون ونزعة التعصب العرقي الصافي والاثني. واعتقدت شعوب قديمة مثل بابل، أشور ومصر أنها أرقى جنسا من غيرهم. كان اليونان في العصور القديمة يعتبرون كل شعوب العالم. ما عداهم برابرة أي شعوب منحطة حتى إن الفيلسوف اليوناني أرسطو يقول في تبريره للعنصرية: إن جماعة معينة تولد حرة بالطبيعة وجماعات أخرى تولد لكي تكون عبيدا ويضيف قائلا: إن الطبيعة خلقت فصيلتين من بني الإنسان فصيلة زود بها بالعقل والإرادة وهي فصيلة اليونان وفصيلة لم تزودها إلا بالجسم فجعلت منها آلات حية يستخدمها اليونان في الأعمال اليدوية ويتخذون من أهلها عبيدا لهم وهي فصيلة البربر ومن هنا كان الزواج من اليونان وغير اليونان محرما وإن كان يجوز لليوناني أن يتسرى رقيقات غير يونانية.

الرومـــان حرمـــت الشـــرائع الرومانيـــة علـــى الشـــخص الرومـــاني الـــزواج مـــن. غيـــر رومانيـــة ولا لرومانيـــة الـــزواج مـــن غيـــر رومـــاني وقـــد أصـــدر الامبراطـــور فالنتـــاين قانونـــا يقضـــى بعقوبـــة الإعـــدام علـــى كـــل" رومانيـــة أو رومـــاني يرتكـــب هـــذا الجـــرم كمـــا يعتبـــر الـــزواج بـــاطلا وأن الأولاد الـــذين يـــأتون" نتيجـــة هـــذا الـــزواج سفاحا.

كـان يحـرم الـزواج بـين طبقـة الأشـراف وطبقـة الـدهماء وظـل هـذا النظـــام محمـــولا بـــه حتـــى ســـنة 445 ق م. وكـــذلك كـــان يحـــرم الـــزواج بـــين الرومانيـــة الأصـــلية وبـــين الرومـــاني الـــدخيل أو بمـــولى معتق.

التتـار: كـان مـن مبـادئ جنكيـز خـان مسـاعدة أبنـاء جلدتـه أولا وقبـل كـل شـيء وفـى هـذا يقـول: فليسـاعد الواحـد مـنكم الآخـر وليقض على بقية الأجناس.

كينيـــا: أغلقـــت المـــدارس وهـــدمت المعاهـــد وحرمـــت علـــى الأفـريقيين السـفر إلـى الخـارج للتعلـيم وحـدد عـدد مـن يسـافر لتضـــيع فـــرص التعلـــيم علـــيهم كمـــا كثـــر عـــدد المعتقلـــين واغتصـــاب المحصـــولات. كمـــا نـــرى ذلـــك فـــي العصـــر الحـــديث عند الألمان واليهود.

الالمـــان: -تســـلطت فكـــرة العنصـــرية علـــى الشـــعب الألمـــاني تسـلطا قويـا بسـبب أنـه اعتقـد أنقـى الشـعوب وأرقاهـا ويقـول أنه وحده له الحق في حكم العالم والسيطرة عليه.

ويقول العلامة رينان إن هذه الفكرة تسلطت على الشعب الألماني منذ القرون الوسطى ثم أخذت تزداد منذ القرن الماضي حيث ظهرت فكرة القومية بين الشعوب وحق كل شعب في أن يختار لنفسه ما يشاء من النظم السياسية.

وقد قسم هتلر كما جاء في كتابه (كفاحي) الناس إلى ثلاثة أقسام: الآريين، الساميون والزنوج.

وقال إن أكثر هذه الأجناس تفوقا هو الجنس الآري وإنه من أجل الحفاظ على تفوقه عليه أن يحافظ على نقائه العرقي والحضاري والشعور نحو الجنس يزداد قوة وتماسكا عند بعض الناس جيلا بعد جيل كعامل للزواج من الداخل أو الزواج من الخارج.

كما وصف الشعب اليهودي تميزه عن باقي الشعوب بتطبيق نظام العنصرية وآمن به كجزء من حياته.

ولم يكن هذا الإيمان نابعا من فراغ بل كان نتيجة لأسباب عدة أحدها: اعتبر اليهود أنهم متفوقون بيولوجيا وكما جاء في التوراة (إن يهوه الإله قد حلفا مع سيدنا إبراهيم ونسله) وهذا يهني إن نسل إبراهيم مفضل ومتميز عن غيره.

أضرار العنصرية:

العنصرية تتمثل في اضطهاد الغير، والتعامل معه بدونية مع إظهار مشاعر الكره والعدوانية، وكثيراً ما يصل الأمر إلى الإيذاء النفسي أو الجسماني مما يجعل الأمر شديد

الصعوبة ويصعب على الآخرين التعايش معه ونتيجة لذلك ظهرت الكثير من الأضرار والآثار السلبية للتمييز العنصري والعنصرية ، والتي تنعكس على الفرد والمجتمع، فالشخص الذي يتعصب لقبيلة او فئة أو حزب أو جماعة أو عائلة أو....الخ لاشك أنه يطلق ولاءه ونصرته وحياته لمن يتعصب له، ثم يطلق –عكس ذلك- عداءه وبغضه وكرهه للطرف الآخر، ولاشك أن ذلك يولد العنف والاقتتال والفوضى، فالعنف لا يولد إلا العنف، فإذا كان الفرد يتعامل- مع من يخالف فكره أو اعتقاده أو حزبه أو قبيلته- بعنف، فإن الطرف الآخر يرد عليه بعنف أقوى منه، يقول إسحاق نيوتن:" كل فعل له رد فعل يساويه في القوة ويعارضه في الاتجاه". فلذلك كل إنسان تحاوره بصوت مرتفع يرفع صوته، تحترمه يحترمك، فكذلك كل إنسان تتعامل معه بالعنف والقوة والقهر يبادلك الطرف الآخر نفس الشعور.[1] وسوف نلخص تلك الأضرار على الفرد وعلى المجتمع.

[1] خطبة بعنوان: العنصرية وآثارها على مجتمعنا ومقدساتنا 19ربيع الأول 1439ه- 8 ديسمبر 2017م

الأضرار على الفرد:

1- التمييز العنصري يجعل الأشخاص الذين يتعرضون له وحيدين ومنبوذين، ويميلون للعيش بمفردهم معزولين عن المجتمع، يحملون بداخلهم الكثير من مشاعر النقمة والغضب على كل من حولهم مما يمكن أن ينتج عنه ردود أفعال عدوانية.
2- كما أن التمييز العنصري يجعل من يمارسه محدود الفكر، أنانياً لأنه لا يستطيع الإحساس بمشاعر الآخرين، ينحصر تفكيره على ذاته فقط ولا يشغل باله بالآخرين مما يصيب فكره بالضيق وعدم الوعي.
3- التمييز العنصري ينتج عنه الحقد والكراهية بين من يمارسه، وبين الشخص الذي يطبق عليه هذا النوع من الاضطهاد العنصري.
4- الشخص الذي يتعرض للعنصرية غالباً لا يجد الفرصة للنجاح، فيتم رفضه في جميع المقابلات واللقاءات وغيرها من الأشياء التي يمكن أن تعطي للشخص فرصة يستغلها ليحقق ذاته.

الأضرار على المجتمع:

1- من أهم الآثار السلبية للتمييز العنصري في المجتمع هو احتمالية حدوث النزاعات والحروب بين أفراده، بسبب تعصب كل جماعة أو طائفة لأفكارها ومعتقداتها.
2- التمييز العنصري يعمل على تفكيك الروابط الاجتماعية بين أفراده.
3- التمييز العنصري يجعل مشاعر الحقد والكراهية هي المسيطر الأساسي بين أفراد المجتمع.
4- التمييز العنصري يؤدي إلى خلق النزاعات بين أفراد المجتمع وبين المجتمعات.
5- التمييز العنصري يولد حالة من عدم الاستقرار، والاضطهاد والخوف بين أفراد المجتمع.

المفاهيم المتداخلة مع العنصرية:

إن العنصرية تشغل العديد من المباحث والعلوم المختلفة مثل علم النفس والجغرافيا والتاريخ وعلوم الاقتصاد واللغات والصحة والدراسات الدينية والسياسية وعلوم الآثار والفلسفة وعلوم الاتصال وعلم الاجتماع وعلوم السياسة الاجتماعية. وما يربط بين هذه التخصصات المختلفة هو استخدام العنصرية لمجموعة من المصطلحات الأساسية كالسلالة والهوية العرقية والجنس والتعصب والأثنية والأمة والقومية، رغم إن تلك المصطلحات متنازع عليها بين المباحث والفروع الأكاديمية المختلفة، ويختلف

بحثها والتنظير لها وتطبيقها أيضا في كل مبحث من تلك المباحث.

إلا أنها جميعها متشابهة في المعنى والمضمون ضمن سياق العنصرية ولنعرف البعض منها:

السلالة: تشير الدلالة الاجتماعية والثقافية إلى أن السلالة تخص مجموعة من الناس يمكن تعريفهم بأنهم يشتركون في سمات طبيعية أو ملامح الوجه أو ينحدرون من أصل أو نسب مشترك، والتي تنتج عن الخيارات الثقافية في تسمية علامات الاختلاف بين البشر. حيث ترتكز العنصرية على ثلاثة أسس: الأول أن الإنسانية لا ترد إلى سلالة واحدة بل عدد من السلالات والثاني أن هذه السلالات ليست متساوية في خصائصها بل أن بعضها يتفوق على بعضها الآخر، والثالث أن مظاهر الحضارة والرقي ترتبط بخصائص السلالات وبناء على ذلك فإن الجماعات التي بمقدورها، وتكون مرشحة لذلك هي الجماعات الأرقى وعلى الجماعات الأخرى أي الأدنى أن تبقى تحت خدمة وسيطرة السلالات الأرقى.

الوسم العنصري: هي العملية الدينامية التي تؤسس بها المفاهيم العنصرية والتصنيفات العرقية نفسها في بنية الحياة الاجتماعية، سواء في الفكر، أو في السياسة والقانون، أو في الدول والأنساق العالمية والإقليمية.

الهوية العرقية: هي الخصائص الموروثة والقابلة للتوريث التي تنشأ عن أصل مشترك. فهو مفهوم ينطوي على تشكيل الفرد لهويته وفقاً لتصنيفه الخاص ضمن مجموعة أو مجموعات إثنية وعلى تعلقه النفسي بها. تعتبر الهوية العرقية جزءاً من مفهوم الفرد الأساسي حول الذات والهوية. يختلف تكوين الفرد لهويته العرفية عن تكوين هويات المجموعات الإثنية.[2]

الإثنية: اعتقاد يجمع بين مجموعات بشرية في أن لديها أصلاً مشتركاً نظراً للتشابه البدني أو العادات أو بسبب الذكريات عن الاستعمار والهجرة، أو بسبب كل ما سبق معاً، وهذا الاعتقاد لابد أن يكون مهماً لأجل تشكل تلك الجماعة، ولا يهم في تلك الجماعة ما إذا كانت هناك صلات دم أم لا. وعادة ما تكون الإثنية عادة متوارثة على أساس ثقافة مجتمع ما يقطن فيه الفرد. والاتباع إلى جماعة إثنية يميل إلى أن يكون محكوم بالتشابه بالتراث الثقافي، السلف، التاريخ، اللهجة أو الأنظمة، طريقة اللبس والفنون. ويمكن تشكيل الجماعات الإثنية الكبيرة، إلى جماعات صغيرة مجزأة تطلق عليها اسم القبائل أو العشيرة، فقد تكون بمرور الزمن جماعات إثنية متباعدة، لعدة أسباب قد يكون منها زواج الأقارب أو الابتعاد المادي عن الجماعة الرئيسية.[3]

---

[2] تكوين الهوية الإثنية والعرقية –ويكيبيديا-

[3] ماهي الإثنية- e3arabi.com

القوميـة: إحسـاس بـالتميز المشـترك والـذي يـتم الشـعور بـه نتيجـة لوحـدة الأصـل.[4] وتطلـق علـى تسـمية سـكان بلـدة واحـدة أو هويـة مشـتركة أو ديـن او تقاليـد أو حتـى تـاريخ مشـترك، فهـي صـفة تطلـق علـى مجموعـة مـن النـاس لـديهم جـامع مشـترك مثـل الثقافـة أو اللغـة. وكـذلك هـي ارتبـاط النـاس بأرضـهم، وولائهـم وانتمـائهم إليهـا، وإلـى عـادات آبـائهم وأجـدادهم، وتقـديم مصـلحة الـوطن علـى المصـلحة الشخصـية، وتعتبـر القوميـة حركـة حديثـة، إلا أنهـا بـدأت فـي تكـوين توجهـات محـددة ومعروفـة، وتـؤثر علـى الحيـاة العامـة والخاصـة فـي نهايـة القـرن الثـامن عشـر.[5] فمفـاهيم القوميـة عديـدة إلا أنهـا ترتكـز علـى ظـاهرتين أساسـيتين وهمـا: موقـف أعضـاء أمـة مـا حـين يهتمـون بهـويتهم كأعضـاء أمـة، والحـراك الـذي يتخـذه أعضـاء أمـة مـا فـي السـعي لتحقيـق أو الحفـاظ علـى شـكل مـن أشـكال السـيادة السياسـية. وتظهـر العنصـرية فـي القوميـة علـى شـكل الانتسـاب لجماعـة معينـة أو قـوم معـين ويوجـد بيـنهم علاقـات معينـة، فـلا يقبلـون الآخـر ويتعاملون مع الآخرين باحتقار وعدوانية.[6]

---

[4] العنصرية والتعصب العرقي من التمييز إلى الإبادة الجماعية، تأليف : أيان لو، الطبعة الأولى 2015، ص33-149-156

[5] ماهي القومية- موضوع- mawdoo3.com

[6] ماهي العنصرية؟ وماهي أضرارها ونتائجها على الفرد والمجتمع

الأمة:

الأمـةُ اصـطلاحاً هـي شـكلُ المجتمـعِ الـذي يَلـي تَحَـوُّلَ الكلانـاتِ والعشـائرِ وقبائـلِ القُربـى إلـى كيانـاتٍ كـالقومِ أو الشـعبِ أو المِلَّـة، والـذي غالبـاً مـا يُصَـنِّفُ ذاتَـه وفـقَ تَشـابُهِ اللغـةِ والثقافـة. والمجتمعـاتُ الوطنيـة أوسـعُ نطاقـاً وأكبـرُ حجمـاً مـن مجتمعـاتِ القبائـلِ والأقـوام. ولهـذا، فهـي تجمعـاتٌ بشـريةٌ تَربطُهـا ببعضِـها بعضـاً روابـطٌ رخـوة. المجتمـعُ الـوطنيُّ هـو بالأغلـب ظـاهرةٌ مـن ظـواهرِ عصـرنا. وإذ مـا صِـيغَ تعريـفٌ عـامٌّ لـه، فبالإمكـانِ القـولُ أنـه تَجَمُّـعٌ مِمَّـن يتشـاطرون ذهنيـةً مشـتركة. أي أنـه ظـاهرةٌ موجـودةٌ ذهنيـاً. بالتـالي، فهـو كيـانٌ مجـردٌ وخيـاليّ. وباسـتطاعتِنا تسـميته أيضـاً بالأمـةِ المُعَرَّفـةِ علـى أسـاسِ الثقافـة. هـذا هـو التعريـفُ الصـائبُ سيسـيولوجيا. فبـأعمِّ الأشـكال، ومـن أجـلِ التحـولِ إلـى أمـة، يَكفـي أنْ يتكـوَّنَ عـالَمٌ ذهنـيٌّ وثقـافيٌّ مشـترك، علـى الـرغمِ مـن اخـتلافِ الطبقـاتِ أو الجـنسِ أو اللـونِ أو الأثنيـةِ أو حتـى اخـتلافِ جـذورِ الأمـة. ولزيـادةِ تعقيـدِ هـذا التعريـفِ العـامِّ للأمـة، فـإنّ أمـةَ الدولـة، أمـةَ القـانون، الأمـةَ الاقتصـادية، والأمـةَ العسـكريةَ (مِلّـة الجـيش) وغيرَهـا، تُعَـدُّ تصـنيفاتٍ أخـرى للميـولِ القوميـةِ المُشـتَقةِ التـي تُحَصِّـنُ الأمـةَ العامـة. وبالمقـدورِ تسـميتها بـأممِ القـوةِ أيضـاً. ذلـك أنّ التحـولَ إلـى أمـةٍ قويـةٍ يُعَـدُّ غايـةً نموذجيـةً وأساسـيةً للحداثـةِ الرأسـمالية. حيـث تُسـفرُ الأمـةُ القويـةُ عـن امتيـازاتِ رأسِ المـالِ والسـوقِ الواسـعةِ وفُـرَصِ الاسـتعمارِ والإمبرياليـة. بنـاءً عليـه، فمـن الأهميـةِ بمكـان عـدم النظـر إلـى هكـذا أمـمٍ مُحَصَّـنةٍ علـى أنهـا النمـوذجُ الوحيـدُ للأمـة، بـل

وينبغي تناولها بأنها أممُ القوةِ الشوفينية، والأممُ المُسَخَّرةُ لرأسِ المال. وتشكيلُها لمنبعِ المشاكلِ يُعزى أصلاً إلى سماتِها هذه. أما نموذجُ الأمةِ الديمقراطية، فهو النموذجُ القابلُ للاشتقاقِ من الأمةِ الثقافية، والذي يَلجمُ القمعَ والاستغلالَ ويدحضُهما. فالأمةُ الديمقراطيةُ هي الأمةُ الأدنى إلى الحريةِ والمساواة. وتأسيساً على هذا التعريف، فهي تُشَكِّلُ مفهومَ الأمةِ المُثلى للمجتمعاتِ الهادفةِ إلى الحريةِ والمساواة.

العرق: جماعة من الناس تشترك في بعض المظاهر الخلقية والفيزيائية العامة وفي أصل جغرافي وتعيش في منطقة معينة.

ويقول بعض العلماء: العرق جماعة من الناس تفرعوا عن أصل عام وهو الإنسان الناطق وحاجزت العزلة بينهم وبين الجماعات الأخرى وتناسلوا فيما بينهم وظهرت عليهم صفات خلقية غير فيزيقية ميزتهم عن سائرهم.

ويقول فريق ثالث:

العرق جماعة من الناس تتميز بتكتلها وصلاتها القريبة توافق فيما بينهم وتجعلها تتوارث عناصر واحدة وصفات

متشابهة وقد يختفي مع الزمن بسبب عوامل أو غزوات ثقافية وقد تثبت وتستمر.[7]

فالعرق هو مفهوم يستخدم في تصنيف البشر إلى مجموعات عرقية، استنادا إلى تركيبات من الصفات البدنية

المشتركة، السلف، وعلم الوراثة، والصفات الاجتماعية أو الثقافية. على الرغم من أن هذه التجمعات تفتقر إلى أساس متين في البيولوجيا الحديثة، فإنها لا تزال ذات تأثير قوي على العلاقات الاجتماعية المعاصرة.[8]

التعصب: عدم تقبل الحق والحقيقة عند ظهورها مع فرط التمادي في الميل والانحياز ضدها.

وكذلك يعرف أيضاً بأنه ارتباط الفرد بفكر أو حزب أو جماعة معينة والانعزال على مبادئها، وهو سلوك قد ينجرف بالفرد والمجتمع نحو الهاوية ثم يؤدي إلى ظهور الدمار والخراب والتطرف. ويكون أساس التعصب هو العنصرية ولكن بشكل متقدم حيث أن العنصرية هي اعتقاد بوجود مجموعة بشرية أدنى مرتبة وتأييد المعاملة التمييزية.

---

[7] التفرقة العنصرية، السيد محمد عاشور خريج كلية التجارة- القاهرة1986، ص9

[8] العرق (التصنيف البشري)- ويكيبيديا-

فهو شعور داخلي يجعل الإنسان يرى نفسه على حق ويرى الآخر باطل ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف ينطوي عليها احتقار الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته. إذ تكون ذا عصبية عمياء لعقيدتك أو لمذهبك أو لفكرتك أو لرأيك، أو لقومك وطائفتك، بحيث لا تقبل أي حوار مع من يخالفك في الأصول أو الفروع، وأن تغلق الأبواب والنوافذ في وجه كل من يقترب منك إلا أن تحاورهم بالسيف.[9]

العلماء والفلاسفة المناهضين للعنصرية:

تبدو مهمة تفسير ومقاربة وتتبع ارتباط الفكر والفلسفة الغربية بالعنصرية، مهمة شاقة ومركبة. ذلك أن هذا الارتباط موغل في التاريخ، حتى قبل دعوات الإصلاح في القرون الوسطى، التي تسببت بقيام الحروب الدينية في أوروبا، ورسخت مفهوم التمييز العنصري كواحد من أشد الظواهر خطورة على البشرية، حيث كان الدافع الرئيسي خلف مجازر الإبادة التي ارتكبها البيض بحق السكان الأصليين في أمريكا، وما لحق الأفارقة من عذاب الاتجار بالرق.

إن كثير من الحروب والمذابح والمآسي البشرية تمت كنتيجة للأفكار العنصرية التي نشأت في أوروبا ودعمتها

[9] ما معنى التعصب؟ وما هي مضاره؟

الكنيسة. حتى التيار البروتستانتي الذي انتفض على فساد الكنيسة، والتيار الفلسفي التنويري والفكري الحداثي لاحقاً الذين نادوا بالمساواة والعدالة والإخاء، وضعوا التقسيمات العنصرية، وصنفوا البشر حسب اللون والعرق، ووضعوا الجنس الأبيض أفضلهم وأكثرهم رقياً. هذه الأفكار والنظريات الفلسفية أحدثت حروباً وخراباً ودماراً عانت منه البشرية كافة.

الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت" رغم كونه أضاف للفكر الإنساني الكثير عبر نظرية المعرفة، إلا أنه واحداً من أهم المفكرين الذين دعوا إلى تصنيف الأجناس البشرية بحسب المعايير العرقية بشكل سافر. قام بتقسيم البشر على أساس اللون، واعتبر أن أصحاب البشرة البيضاء هم أكثر الأنواع البشرية ذكاءً وفاعلية ومقدرة على بناء الحضارات. ثم يأتي أصحاب اللون الأصفر في الدرجة الثانية، في الدرجة الثالثة يأتي أصحاب البشرة السوداء، ومن خلفهم بقية الأجناس الأخرى، وفي الأسفل الهنود الحمر الذين صنفهم "كانت" أسوأ الأجناس وأقلهم تطوراً وذكاءً.

فيما الفيلسوف والاقتصادي الاسكتلندي "ديفيد هيوم" أكد في كتاباته على أنه لا ينتابه أدنى شك في أن الزنوج وكافة أنواع البشر الأخرى، هم بالفطرة طبيعياً في منزلة أدنى من مستوى الإنسان الأبيض. حتى فكرة الفيلسوف الألماني "فريدريك نتشه" حول فلسفة أخلاق القوة التي تعتمد إقصاء

الضعفاء والمرضى، تأثر بها كثيراً الفيلسوف الألماني الشهير "مارتن هايدجر" الذي اعتبره النازيون أنه فيلسوفهم والكاهن الأكبر للفكر النازي. والتحق بهم البروفيسور الألماني وعالم الأنثروبولوجيا "يوجين فيشر" صاحب فكرة تعقيم البشر لبقاء الأفضل وإبادة الأدنى، وفكرة القتل الرحيم للمعاقين. وهو الذي أجرى تجارب عرقية لدعم فكرة أن الألمان أصحاب العرق الآري هم العرق الأسمى، وهذه التجارب مهدت الطريق لقدوم الفلسفة النازية وصعود أفكار هتلر العنصرية.

ومقابل تلك الذهنية العنصرية والشوفينية التي تنادي بالتفرقة والتمييز العنصري، ظهر فلاسفة وأشخاص وقفوا ضد هذه الذهنية الشوفينية والعنصرية.

ومن هؤلاء الاشخاص والفلاسفة:

شيشرون:

نادى الفيلسوف الروماني شيشرون بالوقوف ضد العنصرية، حيث قال أن الناس يختلفون في المعرفة ولكنهم يتساوون في القدرة على التعليم وأنه لا يوجد جنس من الأجناس لا يستطيع الوصول إلى الحكمة إلا إذا كان العقل له رائد.

فولتير:

هو الفيلسوف الذي يصرف اهتمامه وجهده إلى أبعاد الناس عن التعلق بالأفكار المسبقة دينية كانت أو تقليدية. فهو يؤمن بأن الشيء الوحيد الذي يجب أن يهم الإنسان الذي يفكر هو المعقول، أي الواضح، مسبقاً البين بالبرهان والثابت بالحجة. وليس للإنسان المفكر إلا معبود واحد اسمه العقل. أنه لا يكتفي بمهاجمة ما يراه أفكاراً خاطئة، بل يسعى إلى أن يبني من جديد مكان ما هدم. فولتير يحب الجدل، مولود كما قال للعراك. فهو يبحث عن الحقيقة، لا يرضى بها وعنها بقدر ما هو يسعى إلى نشرها. لهذا يرى فولتير أن العنصرية والتعصب مرض جنوني كئيب، فظ وهو مرض يصيب العقل ويعدي كما يعدي الجدري، وتنقله الكتب أقل مما تنقله الاجتماعات والخطب، إذ من النادر أن يحتد المرء وهو يقرأ لأن أعصابه تكون هادئة.

روزا باركس:

واحدة من أهم الناشطات ضد العنصرية، وأطلق عليها "أم حركة الحقوق المدنية"، بدأت نشاطها مع حادثة طردها من مقعدها في حافلة، بعد يوم قضته في مهنة الخياطة أثناء عودتها لمنزلها. كانت أولوية مقاعد الحافلات للبيض، ورغم صراخ سائق الحافلة بها لتترك مقعدها لأبيض لم يجد مكانا، إلا أنها أصرت على البقاء جالسة متحدية العنصرية، وهو ما أطلق شرارة احتجاجات في ألاباما استمرت عاما كاملا، ضد الإجراءات العنصرية. بفعل هذه الحادثة، اختار مارتن لوثر كينغ الناشطة باركس، ناطقة باسمه مع انطلاق حركة الحقوق المدنية.

مال كولم إكس:

داعية إسلامي من أصول أفريقية، ناشط في مجال مكافحة العنصرية والاضطهاد بالولايات المتحدة، بدأت قصته منذ صغره بعد اغتيال مجموعة من البيض لوالده، فضلا عن أن أحد أعمامه أعدم بدون محاكمة. كان أحد رموز جماعة أمة الإسلام، لكن تمسكها بالعنصرية تجاه السود، دفعته إلى الابتعاد عنها ونبذ أفكارها، وحاول تصحيح مسار حركة المسلمين في أمريكا. تعرض للاغتيال على يد 3 من أعضاء الحركة، وينظر إليه على أنه واحد من أهم الشخصيات الأمريكية من أصول أفريقية وأكثرهم تأثيرا في المجتمع. ناشط أمريكي ولد لأب أبيض وأم سوداء، لم يرها سوى مرات قليلة في حياته، هرب مبكرا من حياة

الـرق والعبوديـة، ونشـط فـي مسـاعدة الآخـرين علـى الهـروب مـن العبوديـة. نشـر العديـد مـن السـير الذاتيـة والمؤلفـات عـن حياتـه فـي العبوديـة، ونضـاله ضـد العنصـرية تجـاه السـود فـي الولايـات المتحـدة وتحـول إلـى أحـد زعامـات السـود. لـم يتوقـف عنـد حـد النضـال مـن أجـل السـود، بـل نشـط فـي مواجهـة اضطهاد الأقليات والنساء.

فيليس ويتلي:

كاتبـة أمريكيـة وشـاعرة، اختطفـت مـن السـنغال، عـام 1753، فـي عمـر السـابعة، واشـتريت للعمـل فـي العبوديـة بأمريكـا الشـمالية، واسـتقرت لـدى إحـدى العـائلات مـن البـيض فـي بوسـطن. تعلمـت ويتلـي القـراءة والكتابـة مـن العائلـة المسـتبعدة لهـا، وبرعـت فـي كتابـات شـعرية، عـن الـوطن والأخـلاق والحريـة، وخـلال تلـك الفتـرة تعرفـت علـى الشـاعر الأفريقـي جـوبتير هـامون. لـم تحصـل ويتلـي علـى حريتهـا إلا بعـد موتهـا، فـي العـام 1784، وكـان ذلـك بسـبب ولادة متعسـرة، بعمـر 31 عامـا. اعتبـرت أول أمريكيـة مـن أصـول أفريقيـة نشرت لها القصائد.

مارتن لوثر كينغ جونيور:

حصـل مـارتن لـوثر كينـغ علـى جـائزة نوبـل للسـلام، فـي العـام 1964، وكـان أصـغر الحاصـلين عليهـا سـنا، تقـديرا لجهـوده فـي مكافحـة العنصـرية واضـطهاد السـود. أسـس زعامـة المسـيحية الجنوبيـة للسـود، واشـتهر بخطـاب "لـدي حلـم"،

وكانت كلماته محفزة للسود من أجل النضال لتحصيل حقوقهم. اغتيل في الرابع من نيسان/أبريل عام 1968، رغم أنه كان من الشخصيات الرافضة للعنف والمواجهة بالسلاح.

نيلسون مانديلا:

سياسي مناهض لنظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا وثوري شغل منصب رئيس جنوب إفريقيا حيث ركزت حكومته على تفكيك نظام الفصل العنصري من خلال التصدي للعنصرية المؤسساتية والفقر وعدم المساواة وتعزيز المصالحة العرقية. أثارت فترات حياته الكثير من الجدل، شجبه اليمينيون وانتقدوا تعاطفه مع الشيوعية. كما تلقى الكثير من الدعم الدولي لموقفه المناهض للاستعمار وللفصل العنصري، حيث تلقى أكثر من 250 جائزة، منها جائزة نوبل للسلام 1993 وميدالية الرئاسة الأمريكية للحرية ووسام لينين من الاتحاد السوفييتي. يتمتع مانديلا بالاحترام العميق في العالم عامة وفي جنوب أفريقيا خاصة.

ولديه خطابات عن العنصرية واحدها هذه التي ألقاها أمام لجنة مناهضة الفصل العنصري في 22 حزيران 1990، ((إن مجرد حصول جريمة الفصل العنصري سيظل آفة لا تمحى في تاريخ البشرية. وستتساءل الأجيال القادمة قطعاً: ماذا الذي حصل حتى نشأ هذا النظام في أعقاب اعتماد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟ وسيظل إلى الأبد اتهاماً

وتحدياً لجميع الرجال والنساء من ذوي الضمائر أن طال أمد هذا النظام قبل أن نهُب جميعاً ونصيح "كفى"... ونحن مقتنعون بأن حرمان أحدنا من حقوقه، ينال من حرية الآخرين. لكن المسافة التي لا يزال من المتعين علينا أن نقطعها ليست طويلة. فلنقطعها معاً. دعونا، من خلال أعمالنا المشتركة، نحقق المقاصد التي أنشئت من أجلها هذه المنظمة، وننشأ وضعاً يصبح فيه ميثاقها والإعلان العالمي لحقوق الإنسان جزءًا من مجموعة من القوانين التي ستدرج في النظام السياسي والاجتماعي لدولة جنوب أفريقيا الجديدة. إن نصرنا المشترك أكيد)).

وكما ألقى خطابا أمام الجمعية العامة أمام الأمم المتحدة 1994حيث قال: ((لا بد أن يكون حتماً من المفارقات الكبرى في عصرنا مخاطبة هذه الجمعية العامة، للمرة الأولى في تاريخها الذي امتد تسعاً وأربعين سنة بلسان رئيس دولة ينتمي لجنوب أفريقيا ويختار من الغالبية الأفريقية في بلد أفريقي بطبيعته. وسترى الأجيال المقبلة أنه من الغريب جداً ألا يتمكن وفدنا، إلا في وقت متأخر جداً من القرن العشرين، من شغل مقعده في الجمعية العامة، معترفاً به على السواء من شعبنا ودول العالم بوصفه ممثلاً شرعياً لشعب بلدنا. إن مما يبعث على السرور البالغ أن المنظمة ستحتفل في العام المقبل بالذكرى الخمسين لإنشائها وقد اختفى نظام الفصل العنصري وأصبح من مخلفات الماضي. لقد تحقق هذا التغير التاريخي، على الأقل بفضل الجهود الكبيرة التي قامت بها

الأمم المتحدة لكفالة قمع جريمة الفصل العنصري بحق البشرية.... ويتعين علينا أن نكفل في كل ما نفعله شفاء الجراح التي ابتلى بها شعبنا كله عبر الخط الفاصل الكبير الذي فرضته على مجتمعنا قرون من الاستعمار والفصل العنصري. ويجب علينا أن نكفل أن يصبح اللون والعرق والجنس مجرد هبة منحها الله لكل فرد وليس علامة لا تمحى أو خاصية تمنح مركزاً خاصا لأي منّا. ويجب علينا أن نعمل من أجل ذلك اليوم الذي نرى فيه نحن أبناء جنوب أفريقيا بعضنا بعضاً، ونتفاعل بعضنا مع بعض، بوصفنا بشراً متساوين وجزئا من أمة واحدة موحدة، وليس كإرب ممزقة بفعل اختلافها. إن الطريق الذي يتعين علينا أن نقطعه للوصول إلى هذه الوجهة لن يكون هيّناً بأي حال من الأحوال. وكلنا يعلم كيف تستطيع العنصرية أن تعلق بالأذهان بعناد وبأي قدر من العمق يمكن لها أن تصيب الروح البشرية. ويمكن لهذا العناد، حينما يؤازره الترتيب العنصري للعالم المادي، كما هو الحال في بلادنا، أن يضاعف مئات المرات. بيد أنه مهما تكن مشقة هذه المعركة، فإننا لن نستسلم. ومهما استغرقت من وقت، فإننا لن نكل. إن مجرد كون العنصرية تفسد المذنب والضحية على السواء يقتضي منا، إذا ما كنا صادقين في التزامنا بصون الكرامة البشرية، أن نكافح حتى يتحقق النصر)).

-القائد عبد الله أوجلان:

عندما نتمعن في مرافعات القائد أوجلان المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بصورة تحليلية وعميقة، نتلمس جوهر الحرية الإنسانية والعدالة الاجتماعية. هذا ما يؤكده القائد في مرافعاته، ونتيجة الأزمة التي يعيشها المجتمع الكردستاني والمجتمع البشري بشكل عام، فقد طرح القائد في مرافعاته الخامسة تحت أسم مانيفستو الحضارة الديمقراطية، نظام وحل للأزمة التي تعيشها المجتمعات. حيث طرح مفهوم الأمة الديمقراطية، كبديل وخلاص من مفهوم القومية والعنصرية الدولتية. أن مفهوم الأمة الديمقراطية تقوم على إقامة مجتمع ديمقراطي أيكولوجي، على أساس حرية المرأة وقوة الشبيبة، وكما طرح نظرية الحياة الندية الحرة، للخروج من المشاكل والذهنية التعصبية البطريركية تجاه جنس المرأة وعدم التفرقة بين كلا الجنسين.

عنصرية النظام البعثي على الشعب الكردي في كل من سوريا والعراق:

بعد اتفاقية سايكس-بيكو التي قسمت كردستان بموجب ذلك، بين أربعة حكومات شوفينية وعنصرية كل من النظام التركي، الإيراني، العراقي، والسوري، ومحاولتهم فرض سيطرتهم الذهنية والعسكرية على الشعوب في كردستان وانحلالهم في بوتقة القومية واستعمارهم الذي كان هدف الدول المستعمرة للشرق الأوسط، وخاصة بعد استحواذ النظام البعثي على دفة الحكم في كل من سوريا والعراق، بدأت عنصرية وشوفينية

النظـام البعثـي تجـاه الكـرد خاصـة بعـد إن جـاء النظـام البعثـي بذهنيـة الدولـة القوميـة إلـى المنطقـة التـي انقحهـا فـي شـعوب المنطقـة فتأججـت ذهنيـة العنصـرية بـين مكونـات المنطقـة، فـدخلت المنطقـة فـي دهليـز العنصـرية والشـوفينية تجـاه الـبعض، وكـان الشعب الكردي له نصيب أوفر من آثار هذه العنصرية.

في سوريا:

ضـمت سـوريا فـي الحـدود التـي انتهـت إليهـا عـام 1946 جماعـات دينيـة وأثنيـة ولغويـة متعـددة فقـد بلـغ عـدد الجماعـات المذهبيـة 16 طائفـة (السـنة يلـيهم العلـويين ثـم الـروم الأرثـوذوكس فالـدروز ثـم بقية الطوائف الأخرى).

أمـا علـى الصـعيد الاثنـي فمكوناتهـا هـي (عـرب-كـرد-أرمـن-تركمان-سريان أشوريين-شركس).

وإذ تـوزع النـاطقون بالعربيـة فـي أنحـاء سـوريا، تركـز الكـرد فـي الشـمال وشـمال شـرق الـبلاد وبعـض أحيـاء دمشـق وحلـب وتركـز الأرمـن خاصـة فـي حلـب وشـكل التركمـان والسـريان الأشـوريين والشـركس مكونـات صـغرى. وأقـام معظـم الأرمـن فـي حلـب وجوارهـا وأقـام الأشـوريين فـي وادي الفـرات إلـى جـوار أقربـائهم في الجهة الثانية من الحدود.

ويمكـن التأكيـد علـى العلاقـات الإيجابيـة بـين مختلـف مكونـات الشـعب السـوري أيـام الاسـتعمار الفرنسـي ومعـارك التصـدي لهـذا الاحـتلال، واسـتمرت تلـك العلاقـات إلـى بعـد الاسـتقلال، حيـث لعبـت مختلـف شـعوب سـوريا دور هامـاً فـي التحـرر ووضـع

الحجر الأول في بناء الدولة السورية الحديثة ، إلى أن حدثت الانقلابات وسيطر حزب البعث على دفة الحكم بالاعتماد على الفكر القومي الشوفيني الأحادي، وبسبب سياساتها الشوفينية ومشاريعها الاستثنائية، ونتيجة لحالة الإنكار والإقصاء والقمع تجاه الشعب السوري بكافة مكوناته، والشعب الكردي على وجه الخصوص، أدخل سوريا في حالة من الصراع الدائم المرتكز على الفكر القوموي.

إلا انه ورغم ذلك فإن الصراع لم يتطور يوماً ليصل إلى صفوف المجتمع وبقي محصوراً في عقول وأذهان السياسة وأصحاب السلطة وبعض من المرتزقة، ولم تتمكن من تفكيك نسيج المجتمع السوري وهدم ثقافة التعايش السلمي الذي يمتد إلى عمق التاريخ بوصفهم مكونات الوطن المشترك.

وكانت ولادة حزب البعث في أربعينيات القرن العشرين على يد ميشيل عفلق وصلاح البيطار تحت اسم حزب البعث، اللذين استمدا أفكارهم العقائدية والتنظيمية من أنطوان سعادة وزكي الأرسوزي وأفكار الثورة الفرنسية، حيث أنهما من خريجي جامعة السوربون، واللذين عادا إلى دمشق عام 1934.

وقد أعلن عن تشكيل حزب البعث العربي الاشتراكي السوري أول مرة تحت اسم حركة البعث العربي في نيسان 1947 في دمشق.

لقد كان ظهور البعث بسبب نية فرنسا في إبقاء سوريا تحت تأثير أفكارها القومية، وخاصة بعد الكشف عن نيتها بإنهاء

انتدابها على سوريا، لذا فتحت المجال أمام تشكيل أحزاب سياسية قومويه وهيأت الأرضية لذلك بمنحها الجو الملائم للمثقفين القوميين الذين تخرجوا من جامعاتها، والذين انضموا إلى زكي الأرسوزي المتشرب بالأفكار القومية والذي كان ناشطاً بين الشباب الجامعيين والجيش مما منحهم قوة سياسية وعسكرية.

تعد عقود حكم حزب البعث في سورية -والتي بدأت منذ ستينيات القرن الماضي، واستمرت حتى بداية الثورة السورية، بل إلى الآن- من أصعب الفترات التي عانى منها السوريون جميعًا، ولاسيما بعد أن أصبح أداة بيد النظام الدكتاتوري، لكي يمنحه شرعية استمراريته، والبطش بالمواطن السوري أيًّا كان، وأيًّا كانت رؤيته إن لم تنسجم مع توجهات هذه الطغمة، التي سطت على السلطة في العام 1963، عن طريق الانقلاب الدموي، وإن دأب على تسميته بالثورة، عبر وسائل إعلامه، والمناهج التربوية والتعليمية منذ المرحلة التحضيرية والابتدائية وحتى مرحلة التعليم العالي، بل وتسخير المؤسسات التي صنعها كي تروج لهذا المصطلح، الذي صار يردد بشكل آلي.

لقد عانى السوريون على اختلاف انتماءاتهم من شبح حزب البعث، الذي خيم فوق خريطة البلاد من شماله إلى جنوبه، ومن غربه إلى شرقه، وبدأ يمنح فئة من البعثيين بعض المكاسب، بحسب الدور الذي يؤديه المنتسب إلى هذا الحزب، كما أنه احتكر العمل في مؤسسات الدولة إلى المنتسبين إلى هذا الحزب، إضافةً إلى المؤسسة الأمنية التي تداخل دورها مع

دور البعث، وإن كانت المؤسسة الأمنية ستفرّغ، تاليًا، حزب البعث من محتواه، وتجعله واجهة، لا وظيفة له أكثر من أن يكون ملحقًا بهذه المؤسسة، ولتكون المؤسسة الأمنية ذاتها في خدمة فرد واحد، هو الرئيس، ولاسيما بعد انقلاب مطلع السبعينيات الذي قام به حافظ الأسد، الذي أرسى للدولة الأمنية التي حكمها حوالي أربعة عقود، قبل أن يسلمها إلى وريثه الاضطراري بشار الأسد.

إن تناول حجم الأذية التي لحقت بالسوريين الذين نأوا بأنفسهم عن الانخراط في هذه المؤسسة، يغري بالحديث عن كثير من أشكال الاضطهاد والعسف الذي عانوه، وأول ما يمكن أن نرصده هو أن طبيعة حزب البعث كانت مبنية على العنصرية، على الرغم من الشعارات البراقة التي صار ينادي بها، كما خطط له مؤسسوه في تلك الفترة الذي هيمن فيه الفكر الاشتراكي بُعيد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى 1917، كي يكون ذلك غطاء لتمرير هذا الشكل القوموي العنصري الذي يرفض الآخر، و لا يرى في سكان العالم العربي إلا أبناء القومية الواحدة، التي نظرت إليه أدبياته بشكل تأليهي . كما أن حزب البعث وفي مرحلة ما قبل الأسد وضع أسس السياسات العنصرية، بحق من هم من غير العرب وبخاصة الكرد منهم، وصار يسعى ومن خلال شتى وسائل الإعلام والتربية والثقافة والمؤسسات الرسمية، إلى تعريب كل ما هو كردي، وإلغاء ثقافة الكردي وتراثه وفولكلوره وتاريخه، وباتت السجون السورية تمتلئ بالشباب الكردي، الذي عمل في أول حزب تأسس في عام 1957، وتعامل حزب البعث مع اللغة الكردية

على أنها ممنوعة، إذ لم يسمح بالتدريس بها، ولم يسمح بتأليف وتداول وطباعة الكتاب الكردي، ولا الجريدة الكردية، ولا المنشور الكردي. وقد كان يرمي من وراء هذه السياسات إلى تذويب العنصر الكردي في بوتقة العروبة.

وقد مثل الكراس الذي كتبه رئيس شعبة الأمن السياسي محمد طلب هلال، نظرة فكر البعث وسياسة البعث حيال الكرد السوريين، وامتلئ الكراس بالتوصيات والاحترازات الواجب إتباعها، من أجل إفراغ المنطقة الكردية من السكان الكرد، الذين كانوا يشكلون الأكثرية في مناطقهم بحسب الإحصاءات المحايدة، التي تمت من جانب بعض الجهات التي عنيت بذلك، ومنها الإحصاءات الفرنسية. وظل حزب البعث يطبق هذه السياسة بشكل مباشر حتى مرحلة بداية الثورة السورية 2011، ونجد أنه حقق نسبة عالية منها الآن في السنوات الثلاث الأخيرة لأسباب نعرفها جميعًا.

وما الحزام العربي، الذي كان من إبداعات العقل الأمني البعثي، أو البعثي الأمني، إلا نتيجة الحقد الدفين والعنصري على الكرد، من أجل التغيير الديموغرافي للمنطقة، وقد تجسد ذلك بسلب الملاكين والفلاحين الكرد خيرة أراضيهم الخصبة التي كانت تسمى زراعيًا ب-خط العشرة- أو -خط المطر- حيث جيء بمئات الأسر الفلاحية من منطقة الرقة بشكل خاص وسلبوا أراضي الكرد، ليحققوا بذلك رفع نسبة السكان العرب نتيجة إحساسهم بأن المنطقة ذات أغلبية كردية، كما خططوا لوضع خط فاصل بين الكرد في شمال وغرب كردستان ،

ليكونوا نواة قوة تواجه الكرد في شطري خريطتهم، المتعارف عليها ضمن خريطة كردستان الكبرى، التي تجزأت وفق سياسات سايكس بيكو.

وضع حزب البعث وأجهزته الأمنية مخططًا محكمًا من السياسات، التي صارت تنفذ بالإكراه ضد الكرد السوريين ومن بينها إفقار المنطقة، ومنع إقامة المعامل والمصانع فيها، حتى تلك التي كانت تعتمد على خيرات المنطقة، وأولها البترول أو الحبوب، بالإضافة إلى منع تطوع الشباب الكرد في الكليات الحربية والعسكرية وحتى الشرطة، حتى وإن كانوا منتمين إلى حزب البعث، ولم يكن هناك ضباط كرد برتب عالية، إلا بعض الحالات التي تعد على الأقل من أصابع اليد الواحدة، وكان هؤلاء يقدمون أنفسهم كعرب بعثيين، ومع ذلك فلم يتم اعتمادهم إلا كتابعين لوزارة الداخلية.

كما إنه لم يصل إلى كرسي الوزارة في أية حكومة سورية أي كردي، إلا إذا كان شيوعيًا مرضيًّا عنه. إذ ليس كل الشيوعيين الكرد كان مرضيًا عنهم. وإن السجون السورية وعلى مدى عقود من حكم حزب البعث، لم تخل من السجناء السياسيين الكرد.

وإن تناولنا مسألة التعريب التي سعى إليها البعث بحق الكرد بشكل خاص، فإن هذا الجانب بحد ذاته ليس إلا مدخلًا لمحو الهوية. أن هذا الحزب العنصري قد فعل ذلك ضمن مخطط عام بالموازاة مع الأنظمة الشمولية في تركيا وإيران. وقد كانت الدعاوى القومية العربية، أو الكمالية، أو الفارسية، بمنزلة

طلقة رحمة في رأس الرباط الديني في بلدانهم، بين سائر القوميات المتعايشة تحت رحمة الدولة الإسلامية الواحدة، كي يتوهم، ويوهم كل طرف من الأطراف الثلاثة، أنه يجب أن تكون البوصلة وقفًا على مشيئته، كي يهتدي بها سائر الإثنيات المتمايزة، التي يعيش معها، خاصة أن تشكيل جغرافيا بلدانهم تمّ من خلال العامل الخارجي، لا العامل الداخلي، الذي يعدّ حصيلة القراءة التاريخية، أو الديموغرافية، كي ينجم عن مثل هذه السياسات –بأجمعها– ترك بؤر، باتت تستفحل يومًا وراء آخر، ولاسيما إزاء محاولات الصهر في بوتقة هذه القومية السائدة، رأس هذا الهرم أو ذاك" وهو ما حاول حزب البعث إلغاء الاستشعار به عبر إلغاء من يفكر به.

آثار النظام البعثي العنصري على الشعب الكردي:

مع استلام النظام البعثي دفة الحكم في سوريا، والشعب الكردي لم يسلم من الآثار والدمار الذي عانه من خلال سياسات النظام العنصرية والممنهجة تجاهه، وخاصة في مناطق الجزيرة والفرات وعفرين يمكننا تعداد بعض الآثار العنصرية على الشعب الكردي في سوريا من قبل النظام البعثي على الشكل التالي:

حزب البعث والمسألة الكردية:

استناداً إلى ما تقدم، يمكن الوصول إلى استنتاج عام مفاده أن حزب البعث لا يقر بوجود أية شعوب أو أقليات قومية في إطار التحديد الذي يضعه بنفسه للوطن العربي، بل إن أية مطالبة

كهذه من قبل الشعوب أو الأقليات بالحقوق القومية الديمقراطية توضع لدى البعث في خانة المؤامرات الاستعمارية التي تستهدف طاقات العرب ووحدتهم، وإشغالهم بمعارك هامشية.

ولم يشذ التعامل مع المسألة الكردية سواء في العراق أو سورية عن هذا التوجه البعثي العام.

فميشيل عفلق على سبيل المثال - الذي يعد الأب الروحي للبعث - رفض الموافقة على ضم الأعضاء الكرد في الحزب الاشتراكي العربي الذي كان يترأسه أكرم الحوراني إلى الحزب الجديد، حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كان حصيلة الوحدة بين حزبه والحزب الحوراني، وذلك في عام 1953.

وحيث تعاقبت حكومات عديدة على سوريا إلا أنها جسدت مصالح الطبقات الحاكمة وذهنية الاستعمار الفرنسي المتمثل في الدولة القومية المناهضة للديمقراطية، بدأت من حكومة أديب الشيشكلي مروراً بحكومة الوحدة الناصرية، وانتهاءً بعهود البعث، حيث اتبعت هذه الحكومات سياسة قومية عبر التلاعب بالشعارات القومية والوطنية الفارغة من مضمونها، والتي سارت في نفس السياق بفرض العبودية على المجتمع بكل أطيافه وانتماءاته.

لأن جذور الفكر القومي كان موجوداً في بنية الفكر القومي العربي لدى الطبقة البرجوازية العربية الصغيرة والمتوسطة التي حاولت تقليد البرجوازية الفرنسية. فهؤلاء هم الأصحاب

الحقيقيون لنزعة الدولة القومية والوطن القومي والدستور القومي والأمة القومية المعادية للديمقراطية.

إلا أن هذه الذهنية تعمقت مع صعود البعث على سدة الحكم أكثر من ذي قبل، وذلك بتمتين مؤسسات الدولة القومية المركزية المنادية بشعار الأمة، من المصطلحات البراقة الخادعة للجماهير، مما أبعد الجماهير عن ركب السياسة الديمقراطية والأخلاقيات الاجتماعية العريقة المتجذرة في أعماق مجتمعات المنطقة، والتي أدت إلى سيطرة مفهوم الدولة القومية على حساب تهميش دور المجتمع، وتقزيم الحقوق الجماعية وتصيير الفرد كآلة في مسننات السلطة وبعيداً كل البعد عن ذاته وفاقداً للثقة بنفسه، ومغترباً عن واقعه.

بالإضافة إلى ظهور النعرات العدائية بين جميع مكونات المجتمع السوري وخاصة فيما بين الكرد والعرب، وأججت العواطف العدائية ضد الشعب الكردي في محاولة منها توجيه مشاعر الحقد والكراهية ضد الكرد واتهامهم بصفات سلبية غير لائقة، وسيطرت على كل المؤسسات الثقافية والإعلامية وسخرتها لخدمة سياساتها الشوفينية وشعاراتها الفارغة من كل محتوى على الصعيدين الفكري والثقافي.

لذلك تحولت سوريا إلى صحراء مقفرة من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ووصلت سياسة الإبادة والإنكار الشوفيني الممنهج إلى الذروة، ففي الداخل رفع من وتيرة سياسة التخويف والاعتقال والقتل والتجويع والتعريب والقوانين الاستثنائية، وانتهاج سياسة العداء للشعب الكردي،

وفي الخارج دخلت حكومة البعث في معاهدات إقليمية مع تركيا وإيران والعراق، لها أبعاد خطيرة ضد وجود الشعب الكردي ونضاله على الصعيد الإقليمي.

وبموجب هذه المقاربات أقدمت القوى البعثية في مؤامرة (عنصرية – سلطوية) على إحراق دار للسينما في عامودا، ذهب ضحيته أكثر من 283 طفل كردي جميعهم في المراحل الابتدائية، في 13 من تشرين الثاني عام 1960 ، في ذلك الوقت، قرر مدير ناحية عامودا في اجتماع مع مدراء المدارس ووجهاء المدينة أن يتم حجز سينما عامودا (شهرزاد) يوماً كاملاً لدعم ثورة الجزائر، وذلك بعرض فيلم عن الثورة لطلاب المدارس، يذهب ريع النشاط للثورة. وبدلاً من عرض فيلم الثورة، عُرض فيلم "جريمة منتصف الليل" الذي قام ببطولته الراحل "محمود المليجي"، والذي لم يكن ليناسب أعمار الطلاب. ويقال بأن السينما قد حُشدت بأعداد هائلة تفوق استيعابها الطبيعي، حيث دفع فيها قرابة 500 طالب مرة واحدة في حين أنها تستوعب 200 مقعد.

هذا الحريق استهدف عبد الناصر بسبب تأييده لمشروع الحكم الذاتي لإقليم كردستان العراق، حيث أن هذا المشروع أزعج البعثيين في سوريا والعراق، وهذا كان السبب في التآمر على عبد الناصر في الستينات أيام الوحدة (أحرقوا سوق الصاغة في دمشق حيث معظم تجار السوق من المكون المسيحي واليهودي) و(أحرقوا حي عرنوس الدمشقي معظم سكانه من الكرد).

وكان حريق سينما عامودا بتوجيه من ضابط الاستخبارات العسكرية البعثي في قامشلو حكمت ميني، والذي كلف بدوره جورج حكيم البعثي ورجل المخابرات بالقيام بتلك الفاجعة.

وعندما قدم تقرير مفصل بحقيقة الحادثة إلى عبد الناصر أصدر مرسوماً بإقالة الوزراء البعثيين في شمال – الجزيرة وأيضاً النائب الأول للجمهورية العربية المتحدة أكرم الحوراني ووزير الخارجية البعثية صلاح بيطار وميشيل عفلق، كما أصدر قراراً بإلقاء القبض على الضابط البعثي لفرع الاستخبارات في قامشلو حكمت ميني.

ولم يكن هذا الموقف عابراً أو مجرد نزوة شخصية، بل كان توجهاً عاماً يدخل في إطار الرفض لوجود مشكلة كردية حقيقة سواء في العراق أو في سورية.

ولذا ساءت أحوال الكرد أكثر حيث سموا بـ(إسرائيل الثانية)، ونسبت إليهم تهمة التسلل إلى سورية ورسمت المخططات العنصرية لتصفية وجودهم وكان مهندس هذه السياسة رئيس شعبة الأمن السياسي في الحسكة الملازم محمد طلب هلال، الذي قام بدراسة حول محافظة الجزيرة من النواحي الاجتماعية والسياسية والعرقية، تناول فيها ما أسماه بالخطر الكردي.

ونورد فيما يلي مقترحاته بنصوصها الحرفية (الصفحة 23 - 24 من كتابه "دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية".) التي رفعها إلى القيادة السياسية العليا للبلد للاطلاع واتخاذ التدابير اللازمة بالسرعة

8 – المقترحات بشأن المشكلة الكردية :

إزاء كل ما ذكرنا لا بد لنا في زحمة الأحداث من تعالج الأمور ببرودة العقل ولهيب الإيمان بعيدة كل البعد عن أن تكون المعالجة ضمن الأحداث أو جانبية أو ردة من ردود الفعل حتى لا تقع في الشرك والتخطيط الذي يرسمه الأغيار .
علينا أولاً نتجنب مواطن الزلق لنرمي أسس التخطيط على الفهم والدراسة الشاملة ضمن هذه المرحلة التاريخية التي نمر بها , حيث الوضع معلوم لدينا بشكل واضح وجلي أننا نخوضها في شمالي قطرنا العربي العراقي معركة عقيدة وسلاح . فلا بد أن نشرع وعلى الفور من الانسجام في التخطيط مع ما تقوم به من عمليات في شمالي العراق وفي هذه المرحلة بالذات إذ ما الفائدة أن تنتهي هناك وتبقى هنا وعلى مستوى من الدلال أو القريب من الدلال باسم المواطنة , وقد بان وظهر كل شيء , وانكشفت جميع الأوراق هنا وهناك وفي تركيا وإيران أيضاً بالنسبة للأكراد .لذا نقترح أن يوضع تخطيط شامل بالنسبة للجزيرة وجذري كي لا تعود المشكلة من جديد بعد فترة من الزمن أو فترات . فالمنطقة كلها كما علمنا في تركيا والعراق وسوريا بل وحتى إيران ملتحمة مع بعضها على طول الحدود وعلينا استغلال موقف تركيا الآن لأنه قد يتغير في المستقبل وفق السياسة الاستعمارية , حيث هم يهجرون الآن كل عنصر خطر إلى داخل البلاد .
لذا فأننا نقترح :

الممكنة، لأن تأجيلها أو التروي فيها من وجهة نظر المؤلف سيشكل خطراً مميتاً لكيان الأمة العربية عموماً ولسورية خاصة؛ وفيما يلي مقترحاته:

1-إن تعمد الدولة إلى عمليات التهجير إلى الداخل مع التوزيع في الداخل ومع الملاحظة عناصر الخطر أولاً فأول . ولا بأس أن تكون الخطة ثنائية أو ثلاثية , السنين تبدأ بالعناصر الخطرة لتنتهي إلى العناصر الأقل خطورة وهكذا ..
2- سياسة التجهيل : أي عدم إنشاء المدارس أو معاهد علمية في المنطقة لأن هذا أثبت عكس المطلوب بشكل صارخ وقوي ..
3- إن أكثرية الساحقة من الأكراد المقيمين في الجزيرة يتمتعون بالجنسية التركية ,فلا بد لتصحيح السجلات المدنية وهذا يجري الآن أنما نطلب أن يترتب على ذلك إجلاء كل من لم تثبت جنسيته وتسليمه إلى الدولة التابعة لها .أضف إلى ذلك يجب أن يدرس من تثبت جنسيته دراسة أيضا ًمعقولة وملاحظة كيفية كسب الجنسية لأن الجنسية لا تكسب إلا بمرسوم جمهوري . فكل جنسية ليست بمرسوم يجب أن تناقش تبقي من تبقي أي الأقل خطراً وتنزع من تنزع عنه الجنسية لنعيده بالتالي إلى وطنه.
4- سد باب العمل : لابد لنا أيضاً مساهمة في الخطة من سد أبواب العمل أمام الأكراد حتى نجعلهم في وضع غير مستقر المستعد للرحيل في أية لحظة وهذا يجب أن يأخذ به الإصلاح الزراعي أولاً في الجزيرة بأن لا يؤجر ولا يملك أكراد والعناصر العربية كثيرة وموفورة بحمد الله .
5- شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية لحساب ما وخلخلة وضع الأكراد , وثانياً بحيث يجعلهم في وضع غير مستقر .
6- نزع الصفة الدينية عن المشايخ الدين عند الأكراد وإرسال مشايخ بخطة مرسومة عرباً أقحاحاً , أو نقلهم إلى الداخل بدلاً من غيرهم .
لأن مجالسهم ليست مجالس دينية أبداً بل وبدقة العبارة مجالس كردية . فهم لدى دعوتهم إلينا لا يرسلون برقيات ضد البر زاني أنما يرسلون ضد سفك دماء المسلمين , وأي قول هذا القول .
7- ضرب الأكراد في بعضهم وهذا سهل وقد يكون ميسوراً بإثارة من يدعون منهم بأنهم من أصول عربية على العناصر الخطرة منهم كما يكشف هذا العمل أوراق من يدعون بأنهم عرباً .
8- إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود فهم حصن المستقبل ورقابة على الأكراد ريثما يتم تهجيرهم ونقترح أن تكون هذه العناصر من شمر لأنهم أولاً أفقر القبائل بالأرض وثانياً قومياً مئة بالمئة .

9- جعل شريط الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية كمنطقة الجهة بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب وإجلاء الأكراد وفق ما ترسم الدولة من خطة.
10- إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي على أن تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً .
11- عدم السماح لمن يتكلم اللغة العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق الكردية المذكورة .
12- منع إعطاء الجنسية السورية مطلقاً لمن يريد السكن في تلك المنطقة مهما كانت جنسيته الأصلية (عدا الجنسية العربية الخ)
وهذا وأن هذه المقترحات ليست كافية بل أردنا منها إثارة المسئولين بحسب خبرتنا لتكون تباشير مشروع خطة جذرية شاملة لتؤخذ للذكرى بعين الاعتبار .

أ- وبموجب هذه المقترحات فقد أقدم النظام السوري بسحب الجنسية من150 ألف كردي عام 1962 والذين بلغ عددهم عما يزيد عن نصف مليون كردي بعد عام 2000 ومن نتائج هذا التجريد أنه حرم أكثر من مئة ألف شاب كردي من الالتحاق بالجامعات والمعاهد التعليمية أو الحصول على عمل لأنهم في عداد الأجانب.

وبعد أن استولى الحزب على السلطة 1963 كان جهد البعث مركزاً على ضرورة القضاء على الحركة الكردية، سواء في سورية أو العراق، وعلى رفض الوجود الكردي بالمطلق، وهذا ما انعكس على مختلف المستويات الإعلامية والسياسية اليومية؛ بل لقد وصل الأمر بالسلطات السورية في ذلك الحين إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة فهد الشاعر عام 1963 إلى كردستان العراق للمساعدة في التخلص من الحركة الكردية هناك؛ وهذا ما ذهب إليه عفلق نفسه في خطاب ألقاه في العاشر

مـن جزيـران عـام 1969، إذ اتهـم فيـه "الحركـة الكرديـة فـي العراق على وجه التحديد بأنها جزء من المخطط الإمبريالي".

ب ـ تحويـل الأراضـي الخصـبة فـي المنـاطق الكرديـة إلـى ملكيـة عامة للدولة تحت اسم الإصلاح الزراعي.

فبعـد هزيمتهـا فـي حـرب حزيـران (نكسـة حزيـران) التـي ذهـب ضـحيتها الكثيـر مـن أبنـاء الشـعب السـوري ومـن جميـع الأطيـاف، أقـدمت القيـادة الشـوفينية فـي حـزب البعـث الحـاكم علـى تطبيـق المخططـات التـي رسـمتها العقـول القوميـة المحافظـة لزيـادة الهـوة بـين الشـعبين فقامـت بتـوطين العشـائر العربيـة التـي غمـرت أراضـيها ميـاه سـد الفـرات فـي "المنـاطق الخصـبة" لمنطقـة الجزيـرة التـي يقطنهـا الغالبيـة الكرديـة بهـدف خلـق العـداوة بـين الكـرد والعـرب لضـرب الأسـس التاريخيـة للأخـوة العربيـة الكرديـة، حيـث احتـذى نظـام البعـث بسياسـة الاسـتيطان الصـهيوني في فلسطين نموذجاً في هذا المجال.

وعلـى أثـره تـم تنفيـذ مشـروع الحـزام العربـي عـام 1967 ببنـاء العشـرات مـن المسـتوطنات العربيـة فـي منطقـة الجزيـرة، واتبـاع سياسة مصادرة الأراضي.

ولضـرب الكـرد ببعضـهم الـبعض أيضـاً نزعـت مـن أيـادي الفلاحـين أراضـيهم ومنحـتهم أراض اسـتولت عليهـا مـن الآغـوات مـع إبقـاء مسـاحات كافيـة بملكيـة آغـوات الكـرد لقـاء خـدماتهم التـي

قدموها للسلطات على طول الخط الحدودي الشمالي لسوريا مع تركيا والعراق المقدر بطول 375 كم وعرض 10 كم.

ثم تلى بعد ذلك الخطوة اللاحقة وهي إجبار الكرد بشتى الوسائل على مغادرة المساحة المشارة إليها أعلاه.

ألا أن ذلك لم يتحقق لأسباب عدة أهمها تمسك الفلاحين الكرد بأرضهم حيث رفضوا مغادرة قراهم ووقعت حوادث دامية بينهم وبين السلطات المحلية بالمحافظة.

حيث شارك أبناء الكرد في عدة قرى بالمقاومة السلمية من أجل البقاء على أراضيهم، فثارت ثائرة الأوساط الشوفينية في المنطقة وأعلنت أن الكرد في الجزيرة بدأوا بالانفصال، وطلبت المساعدة من المركز بإرسال الأسلحة من مدرعات وغيرها لإخماد المقاومة الفلاحية، وكانت النتيجة أنه ألقي القبض على أعداد كبيرة من فلاحي القرى نساءً وأطفالاً ورجالاً وزجوا في السجون.

ج ـ تغيير أسماء المدن والقرى الكردية وتسميتها بأسماء وألقاب ليس لها أية علاقة بتاريخ وثقافة هذه المدن والقرى مثال "تربه سبيه" تم تسميتها بـ "القحطانية" والهدف الأساسي هو تعريب المنطقة وتغيير معالمها عبر إطلاق أسماء مصطنعة عليها.

ر- خلق الكثير من العراقيل التي تحد من ترشيح الكرد وانتخابهم في انتخابات المجلس التشريعي والإدارات المحلية وتوظيفهم في المراكز والمؤسسات الهامة وقبولهم كضباط في

الجيش، هذا على الرغم من شكلية هذه السلطات الخاضعة لهيمنة البعث والأجهزة الأمنية.

ز- اعتبار اللغة والثقافة الكرديتين خطر على أمن الدولة واتخاذ إجراءات أمنية وثقافية ممنهجة بصددها، لمنع تداول أبناء الشعب الكردي للغتهم الأم في الأماكن العامة والمدارس والجامعات إلى جانب فرض اللغة والثقافة العربية على أبناء هذا الشعب عبر إجراءات أمنية.

بالإضافة إلى أن الطلبة الكرد لا يستفيدون من البعثات الدراسية سواء الداخلية منها أو الخارجية، وكذلك كليات الجيش والشرطة مقفلة في وجههم والإدارة حتى على مستوى مدراء النواحي لا تعطى لهم.

س- استخراج الثروات الباطنية في المناطق الكردية لصالح الدولة والفئات الاوليغارشية وحرمان الشعب الكردي منها تماماً، كما حدث ويحدث في حقول البترول والغاز الطبيعي في رميلان وسويدية وكراتشوك وتربه سبيه.

ش- التعامل الأمني مع الملف الكردي والدخول في اتفاقات إقليمية ضد الوجود الكردي، المثال البارز في هذا الصدد الاتفاق "السوري-التركي - الإيراني" ضد حركة الحرية الكردستانية في عهد الحكومة الحالية على قاعدة اتفاقية أضنه فيما بين سوريا وتركيا، بالإضافة إلى زج المئات من أبناء الشعب الكردي في السجون والمعتقلات ومحكمتهم بقوانين غير

عادلة مثال (محاولة اقتطاع جزء من الأراضي السورية وإقامة الدولة عليها)، وما شابه ذلك من التهم الملفقة.

ص- تطبيق قوانين استثنائية جديدة بحق الشعب الكردي، بالإضافة إلى القوانين الاستثنائية السابقة كقانون رقم / 49 / بصدد الملكية وغيرها من القوانين.

وقد أضيفت إجراءات تمييزية أخرى كثيرة، تستهدف باستمرار عرقلة التطور الاقتصادي الاجتماعي في المنطقة، فهناك العديد من المناطق في سورية لا يسمح للكرد أن يشتروا عقارات أو أراضي زراعية فيها.

كما أن المعاملات العقارية الخاصة بالكرد في المناطق الكردية تعرقل كثيراً بقصد ترك الأمور في فوضى عارمة لغايات تضمرها الدولة؛ فحالات حصر الإرث وشراء البيوت والأراضي وإنشاء المشاريع الاقتصادية تستلزم جميعها الموافقات الأمنية، إلى جانب موافقات الوزارات التي لا تعطى، بل تؤجل من دون تسويغ أو تحديد للسقف الزمني.
ط- منع الكرد من التضامن مع إخوانهم في باقي أجزاء كردستان والتواصل معهم والتي تعتبر كحق طبيعي بين أبناء الشعب الواحد على غرار التضامن العربي مع الشعب الفلسطيني .

ظ- فرض سياسة التجهيل وحرمان الكرد من لقمة العيش الضرورية لكي يهجروا وطنهم وليحل محلهم العرب من المحافظات السورية الأخرى، ويترافق ذلك بشن حملة دعائية

عنصرية بين العرب موجهة ضد الكرد من أجل زيادة الحقد القومي بين المكونين.

وبهذا الشكل أصبح إيجاد الحلول الديمقراطية للحقوق القومية للشعب الكردي في سورية في إطار الوحدة الوطنية أكثر تعقيداً.

ومع استلام حافظ الأسد للحكم في سورية عام 1970 التزم البعث الأسلوب النفعي في التعامل مع القضية الكردية إقليمياً، وذلك لتعزيز مواقعه في لعبة المعادلات الإقليمية، كما أنه في الوقت ذاته أراد توجيه أنظار الكرد في كردستان سورية، وسورية بصفة عامة نحو الخارج، سواء باتجاه كردستان تركيا أو كردستان العراق؛ ليؤكد أن الكرد في سورية هم مجرد أقلية مهاجرة، لاذت بالبلد هرباً من الإبادة.

هذا في حين أن التاريخ الحديث لسوريا يبين كيف رسمت الحدود الشمالية لسورية بناء على اتفاقيات اعتباطية بين كل من تركيا وفرنسا، خاصة اتفاقية فرانكلين بويون[10] التي تم بموجبها إلحاق جزء من كردستان بسورية.

[10] **معاهدة أنقرة** هي اتفاقية وقعت بين فرنسا وتركيا الأتاتوركية في 20 تشرين الأول عام 1921. وقع المعاهدة الدبلوماسي الفرنسي هنري فرانكلان بويون ووزير الخارجية التركي يوسف كمال. أوقفت المعاهدة الحرب الفرنسية التركية وكان أثرها الأكبر تعديل خط الحدود بين سورية (الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي آنذاك) وتركيا الذي كان قد أقر في معاهدة سيفر التي أنهت الحرب العالمية الأولى.

ومن إحدى المآسي التي ارتكبها النظام البعثي بحق الشعب الكردي في غربي كردستان هو قيامه عن سابق تخطيط في سجن وقتل المئات من الشباب الكرد، ففي بداية الثمانينيات من القرن الماضي قام الميت التركي بالتواطؤ مع الاستخبارات السورية بارتكاب مجزرة جرنك في قامشلو المتاخمة للحدود مع تركيا والتي ذهب ضحيتها 22 شخصاً.

لقد حاول الإعلام الرسمي للسلطة على مرّ السنين إحاطة أحوال الكرد في سورية بسرّية تامة وإخفاء حقيقة ما تتخذ من إجراءات منافية لأبسط حقوق الإنسان ضده.

فحتى الوقت الحاضر لم يأت أي دستور سوري أو نصوص حقوقية أخرى على ذكر الكرد أو الاعتراف بوجودهم كقومية ثانية في البلد وحرموا من حقوقهم الاجتماعية والسياسية والثقافية، فلا يحق لهم فتح مدرسة أو ناد أو جمعية أو إصدار مجلة أو جريدة بلغتهم القومية.

وفي الأماكن التي تقطنها غالبية كردية تطبق قوانين استثنائية، ويمارس التضييق الاقتصادي عليها ويزداد تعسف الأجهزة الأمنية والإدارية في مناطقها ويتعرض الكرد للاعتداءات المتكررة والإهانات المختلفة، ويضطرون إلى دفع الإتاوات والرشاوي لتسيير أمورهم اليومية.

كما يمنع الكرد من ممارسة تقاليدهم القومية وخاصة الاحتفال بعيدهم القومي المعروف بـ(نوروز)، وبالرغم من توافق يوم (نوروز) مع العطلة الرسمية المعلنة في البلاد، إلا أن السلطات

المحلية وبإيحاء من المركز لا تسمح الاحتفال بصفة عيد قومي للكرد، بل تحاول أن تجعله عيداً عادياً مثل باقي الأعياد الأخرى، وفي حالة الخروج من هذا الإطار تلجأ إلى أساليبها المعروفة من توقيف واستجواب واعتقال...الخ.

ففي عام 1986 تم حرمان الكرد من الاحتفال بعيدهم القومي، ورفضاً لقرار المنع هذا الصادر مباشرة من رئاسة الجمهورية، نزل الكرد إلى شوارع دمشق في مظاهرة تطالب بالاعتراف بالعيد القومي للكرد والمطالبة برفع المظالم عنهم والإقرار بحقوقهم المشروعة، وتوجهت الحشود إلى القصر الرئاسي لتوصيل مطالبهم وكانت النتيجة أن استخدمت القوى الأمنية الرصاص الحي ضد المتظاهرين، فاستشهد أحد الشباب الكرد المشاركين (سليمان آدي) وجرح عدد أخر.

لقد صعد النظام من نشاطه المعادي للكرد وتوجيه التهم الباطلة كالانفصال، وأقدم على جرائم لم تكن في الحسبان ضد أناس أبرياء كانوا موقوفين بسجن الحسكة بعد احتفالات نوروز 21 آذار 1993 حيث توفي حوالي (60) فرداً من أبناء الكرد.

وقد كان من نتائج اتفاقية أضنة أنه تم تضييق مساحة الحراك الكردي عموما وخاصة المنتسبين إلى حزب العمال الكردستاني وتسليمهم إلى تركيا أو زجهم في السجون ولم تنتبه القيادة البعثية أطلاقاً للوجود التاريخي للشعب الكردي على أرضه.

في العراق:

لـم يكـن التمييـز فـي العـراق جديـداً فهـو قـديم ومترسـخ فـي المؤسسـات الدينيـة والثقافيـة والسياسـية. فالعشـائر العراقيـة تميـز الشـخص علـى أسـاس الحسـب والنسـب ولا تقبـل بـبعض الأشـخاص كطـالبي زواج أذا كـانوا مـن منـاطق أو عشـائر أو مهـن معينـة وذلـك لأنهـا تنظـر إلـيهم نظـرة دونيـة. أمـا تمييـز أصـحاب البشـرة السـوداء فهـو واضـح ولا يحتـاج لـدليل. أمـا قضـية عـرب وكـرد فحـدث ولا حـرج. فـالعربي يطلـق النكـات التـي تسـخر مـن الكـردي ورد عليـه الكـردي بنكـات مثلهـا. ولا يزوجـون الكثيـرين الشـخص أذا كـان كرديـاً ووصـلت إلـى أن أحـد المراجـع القـدماء أدعـى أن أصـل الكـرد مـن الجـن فـلا يجـوز تـزويجهم. التمييـز شـيء شـائع فـي العـراق. وفـي أحيـان كثيـرة يتباهـا بـه الفـرد بلا خجل.

لقـد مـر العـراق فـي الكثيـر مـن المشـاكل التـي رسـخت هـذا التمييـز مـن الماضـي حتـى الوقـت الحاضـر وسـاهمت الحكومـات المتعاقبـة فـي ترسـيخ وزيـادة هـذا التمييـز، كمـا فعـل النظـام السـابق فـي تمييـز الضـباط وإعطـائهم امتيـازات جعلـت مـنهم أغنيـاء، وكمـا قـام بتـدمير الطبقـة الوسـطى مـن نسـيج المجتمـع العراقـي أيضـاً مـن خـلال إهمـال الكفـاءات وتحويـل العـراق إلـى طبقـة أغنيـاء وفقـراء. أمـا الحكومـات الحاليـة بعـد السـقوط الـذي تميـز بـين شـيعي وسـني فـي توزيـع الوظـائف وتقسـيم المناصـب السياسـية. وأصـبح هنـاك عراقيـون الخـارج والـداخل، والمهجـرين الـذين يسـكنون العشـوائيات. وزاد هـذا التمييـز لترتكـز الثـروة فـي أيـادي ثلـة قليلـة مـن السـراق جاعلـة مـنهم أغنيـاء يجولـون بسـياراتهم الفارهـة فـي شـوارع بغـداد ويصـطافون فـي الـدول الغربيـة وغيرهـا، تـاركين

المواطن العراقي يرزح تحت خط الفقر وتعم بين صفوفهم الجهل والأمية. فإذا سرق تكالبوا عليه وقدموه للمحاكمة بتهمة سرقة أموال الشعب. وهم يلبسون الأربطة ويحملون الشهادات ويسرقون بشكل قانوني كرواتب ضخمة أو بشكل غير قانوني من خلال صفقات مشبوهة.

أذن، مشكلة العراق ليست سياسية فحسب، بل هي ثقافية راسخة في جذور وسلوك وأخلاق. وهذا يتطلب مجهود وعمل ثقافي يتحمل عبئه المثقفون والعلماء العراقيون وليس السياسيون فحسب. بل يتحمله بشكل كبير رجال الدين الذين يخطبون ولهم سطوة هذه الأيام. فلابد من مشروع جاد يقوده مثقفون عراقيون يدعون للمساوات بين أفراد الشعب العراقي على أساس العرق والجنس والمنطقة. لابد للمثقفين العراقيين من وقفة واضحة وتنسيق مشترك من خلال الجامعات مراكز البحوث ووسائل الإعلام وباقي الطرق كالكتابة والفن وباقي صنوف الثقافة لصياغة ثقافة جديدة يعيش فيها الضعيف بلا تمييز. فالكثير من المشاكل التي نعيشها الآن يرجع أصلها للتميز والنظرة الدونية للآخر .

وفضلاً عن ذلك، فأن الشعب الكردي عانى ويلات العنصرية والتمييز العنصري حتى وصل مرحلة المجازر والقتل ونهب وتدمير القرى الكردية وتشريد المئات من الكرد في الجبال من هول النظام البعثي في العراق. في شهر شباط/فبراير 1988 وفي الأشهر الأخيرة من الحرب العراقية-الإيرانية شن النظام العراقي حملة عسكرية واسعة جداً أطلق عليها اسم "الأنفال"

ضد الشعب الكردي في جنوب كردستان وقوات البيشمركة مستخدماً جميع أجهزة القمع التي يمتلكها زاجاً بأعداد غفيرة من قوات الجيش والقوات الخاصة والجحوش وأجهزة الأمن والاستخبارات العسكرية ومستخدماً كافة أنواع الأسلحة الهجومية التي امتلكها النظام الدكتاتوري والعنصري ألصدامي حينذاك.

وفي الرابع عشر من شهر آذار 1988 قام سلاح الجو العراقي بقصف مدينة حلبجة وسكانها الآمنين بالسلاح الكيميائي مما أدى إلى استشهاد أكثر من 5000 إنسان بين طفل وامرأة ورجل عجوز وشباب، إضافة إلى تعرض ما يزيد عن 5000 آخرين بإصابات مريعة نقلوا على إثرها إلى إيران لمعالجتهم.

أدت عمليات الأنفال التي دامت حتى شهر تشرين الأول/أكتوبر 1988 إلى قتل واختطاف واعتقال عدد كبير جداً من الناس البسطاء من سكان المناطق الأرياف والمدن التي تم فيها تنفيذ العمليات الإجرامية، والتي شملت جميع أجزاء كردستان تقريباً وأدت إلى فقدان ما يقرب من 182 ألف إنسان. وقد تم خلال السنوات المنصرمة اكتشاف عشرات المقابر الجماعية التي دفنت فيها أجساد هؤلاء الناس، كما دفن فيها الكثير منهم بالجرافات وهم أحياء. لقد كانت مجزرة بشرية رهيبة قام بالتخطيط لها وتنظيمها وتنفيذها قادة حزب البعث العربي الاشتراكي ومجلس قيادة الثورة وصدام حسين. وأسندت قيادة تلك العمليات العسكرية إلى المجرم ابن عم صدام حسين والمدعو علي كيماوي (علي حسن المجيد).

فما تزال في ذاكرة العراقيات والعراقيين، وخاصة الكُرد منهم، الكلمات الإجرامية التالية لهذا المجرم الأفاك علي كيمياوي:

" سوف اقتلهم جميعا بالأسلحة الكيمياوية .... من عساه أن يعترض ... المجتمع الدولي ؟ فليذهبوا للجحيم ، المجتمع الدولي ومن ينصت إليه، لن أهاجمهم بالمواد الكيمياوية يوما واحدا فحسب، بل سأواصل الهجوم عليهم بالمواد الكيمياوية لمدة خمسة عشر يوما حتى أبيدهم عن بكرة أبيهم".

وفي الوقت الذي كان النظام الصدامي ينفذ عملياته العسكرية العدوانية والعنصرية ضد الشعب الكردي، عمليات الإبادة الجماعية وضد الجنس البشري، قدم الدكتاتور صدام حسين عرضاً وقحاً للمعارضة العراقية الموجودة في كردستان يدعوها فيه إلى تجديد للحوار والعودة إلى التفاوض مع النظام.

لقد كانت وقاحة لا توصف ويصعب تصورها، ولكنها واحدة من أبرز السمات التي يتميز بها المستبدون الطغاة في جميع أنحاء العالم. ففي الوقت الذي كان يمارس القتل الجماعي بحق بنات وأبناء وأطفال الشعب الكُردي وجمهرة من قوميات أخرى، طالب في الوقت نفسه الأحزاب السياسية العراقية المناضلة ضد نظامه واستبداده، ومنها الأحزاب الكردستانية (الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني ..) والحزب الشيوعي العراقي، بالعودة إلى المفاوضات وحل المشكلات والمشاركة في الحكم.

لقد رفضت قوى المعارضة العراقية كلها هذا العرض المجنون والإجرامي وأكدت أن النظام، وفي الوقت الذي يقوم بقتل الناس الأبرياء بأعداد غفيرة، يدعوها إلى التفاوض بهدف التستر على الجرائم البشعة التي كان يرتكبها في حملات الأنفال المرعبة، ومنها مجزرة حلبجة.

لقد سقط النظام ولاقى البعض من قادته الجزاء العادل وبعضهم لا زال ينتظر المحاكمة وتنفيذ الجزاء العادل به، ولكن الشعب الكردي، ومعه بقية مكونات الشعب العراقي، نهض من جديد ليعيد بناء جنوب كردستان العراق والعراق وفق أسس جديدة يفترض أن تقوم على أساس الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق القوميات والعدالة الاجتماعية. يفترض أن تمس التغييرات والإصلاحات مصالح وقود الثورة والنضال المرير، الشعب الكردي وعموم الشعب العراقي، وخاصة ضحايا الإرهاب والقمع والعنصرية الفاشية.

إن خير ما يكرم به ضحايا الأنفال وحلبجة يتلخص بتشديد النضال من أجل منع التوتر والصراعات السياسية وممارسة القوة والعنف والسعي لحل المشكلات العالقة في العراق بالطرق السلمية والتفاوضية ووفق لمبادئ الديمقراطية والدستور العراقي.

إن خير إجلال واحترام لشهداء الشعب الكردي وكل مكونات الشعب العراقي هو العمل الجاد لإعادة بناء المدن والقرى والمنشآت والحقول التي دمرتها الفاشية الصدامية وتعويض ذوي الضحايا.

إن خير تكريم لهم هو مطالبة القوى والدول التي زودت صدام حسين بالقوة والأسلحة الفتاكة، بما فيها السلاح الكيميائي، بالاعتذار للشعب الكردي وكل الشعب العراقي وتقديم التعويضات لإعادة إعمار المناطق التي دمرت ولذوي الضحايا الذي خسروا ذويهم أو الذين تعرضوا للتعذيب والتشويه والأمراض والعلل النفسية والعصبية.

وأيضاً في العراق فإن سياسة الإقصاء والتهميش والتمييز والتعريب ضد الكرد فقد بدأت في الأيام الأولى لتشكيل الحكومة العراقية برئاسة عبد الرحمن النقيب في عشرينيات القرن الماضي على الرغم من أن المادة الأولى في الدستور تؤكد إن العراق يتكون من قوميتين رئيسيتين هما العرب والكرد وادعاءاتها الزائفة باحترام حقوق المكونات ، فكان أول إجراء تعسفي لها ضد الكرد هو العمل على تعريب كركوك وكان قائد هذه العملية العنصرية هو ياسين الهاشمي وتحديداً بعد إكمال مشروع الحويجة الاروائي في زمن الملك غازي في أربعينيات القرن الماضي حيث قام بجلب عشائر عربية من أطراف الموصل و إسكانهم في هذه المنطقة الزراعية وقد تمكن الهاشمي بضرب عصفورين بحجر واحد في جلب العرب إلى كركوك والاستفادة من مشروع الحويجة الاروائي وسلب حق الكرد والتركمان في الاستفادة حيث أدى ذلك إلى تمدد العرب إلى مناطق أخرى مثل الرشاد والزاب وداقوق والبشير والدبس ثم التمدد إلى مدينة كركوك التي كان لا يوجد فيها

عـرب إلا نفـر قليـل يسـكنون فـي منطقـة صـغيره داخـل كركـوك تسـمى الحديـديين وتعييـنهم فـي الـدوائر الحكوميـة وخاصـة فـي المؤسسـات النفطيـة وتفضـيلهم بـالتعيين علـى الكـرد والتركمـان والكلـد وآشـوريين . وفـي عـام 1963 وبعـد انقـلاب الثـامن مـن شـباط شـهدت كركـوك موجـة عاتيـة مـن التعريـب وبأسـلوب جديـد وهـو ترحيـل القـرى الكرديـة التـي كانـت تسـكنها منـذ آلاف السـنين فـي كركـوك بحجـة دواعـي أمنيـة ولأنهـا قريبـة مـن حقـول الـنفط كمـا شـمل ترحيـل قـرى فـي دوزخورمـاتوو داقـوق والـدبس وإسـكان عشـائر البـدو فيهـا ليسـيطروا علـى الأراضـي الزراعيـة واسـتخدامهم كمقـاتلين تحـت اسـم الفرسـان فـي الهجـوم مـع الجـيش علـى المنـاطق الكرديـة فـي شـوان وطقطـق وجمجمـال وقـره هنجيـر وقـره حسـن حيـث كـان يقتصـر فـي السـلب والنهـب والتجـاوز علـى المحرمـات وبعـد سـقوط نظـام البعـث فـإن أعمـال التهجيـر والتعريـب قـد توقفـت بعـد سـيطرة الأخـوين عـارف علـى السـلطة لـبعض الوقـت لكنـه وبمجـرد عـودة البعثيـين إلـى السـلطة فـي عـام 1968 حتـى بـدأوا بممارسـة سياسـتهم العدوانيـة ضـد الكـرد ، لكـن صـمود الشـعب الكـردي أجبـر النظـام علـى توقيـع اتفاقيـة الحـادي عشـر مـن آذار عـام 1970 وقـد بـدأت النوايـا السـيئة مـن قبـل الحكومـة تظهـر شـيئا، الا انهـا توقفـت بعـد انهيـار اتفاقيـة الحـادي عشـر مـن اذار فـي عـام 1974 وذلـك بسـبب عـدم إيفـاء الحكومـة بالتزاماتهـا بتنفيـذ بنـود الاتفاقيـة. سـارع صـدام بـالتوقيع علـى اتفاقيـة الجزائـر المذلـة وحيـث كـان الـرئيس الجزائـري هـواري بومـدين دوره فـي ترتيـب اللقـاء بـين شـاه إيـران محمـد رضـا بهلـوي ونائـب الـرئيس العراقـي صـدام حسـين

والتوقيع على اتفاقية الجزائر وبموجبها حصلت إيران على أراضي واسعة على امتداد الشريط الحدودي بين إيران والعراق حيث قدرت بأنها أكثر من مساحة فلسطين ومن الغريب العجيب أن صدام كان يصرح جهارا نهارا أنه سيحرر كل شبر مغتصب من الأراضي العربية ولكنه وهب آلاف الكيلومترات إلى إيران والتنازل عن نصف شط العرب ورفع العلم الإيراني في المياه الإقليمية العراقية الذي كان يعتبر إهانه صارخه لكرامة العراق واستقلاله ، لأن القوانين الدولية تؤكد على جميع السفن أن ترفع علم الدولة التي تدخل في مياهها الإقليمية كما تم إجبار العراق بموجب هذه الاتفاقية المشينة عدم التدخل في شؤون إقليم ظفار ضد سلطنة عمان.

العنصرية التي يمارسها النظام التركي تجاه شعوب المنطقة:

بعد انتصار الكرد والأتراك في معركة ملاذ كرد على الإمبراطورية البيزنطية في 26 أغسطس 1071 بالقرب من ملاذ كرد) حالياً في منطقة موش. وظهور ذهنية القومية للأتراك تجاه الشعوب وخاصة بعد ارتكاب المجازر ضد الأرمنيين، حيث بدأت الذهنية التركية بممارسة سياسات العنصرية والشوفينية تجاه الكرد وخاصة بعد احتلالها لشمال كردستان ومحاولة صهرهم في بوتقة التركياتية وإبادة الشعب الكردي. ومن هنا ظهرت الانتفاضات الكردية ضد هذه الممارسات والمجازر التي ارتكبتها بحق الشعب الكردي.

سواء كنت كردياً، أم عربياً، أم أرمنياً... بالنهاية أنت تركي، ويجب عليك أن تفتخر بأنك تركي. تلك هي الأيديولوجية

التركية الرسمية تجاه الشعوب غير التركية في الأراضي المسماة زوراً "تركيا". فعلى الرغم من وجود أكثر من 23 مليون كردي، و7 ملايين عربي، وما يماثلهم من الأرمن والأبخازيين والألبان والآشوريين والبوسنيين والشركس والجورجيين و«هامشينيين»، و«لاز»، وبوماك (بلغار) والغجر، واليونانيين واليهود، إلا أن القَسَم التركي المعهود لغة واحدة وأمة واحدة وقومية واحدة، لا تزال تعرّض من يخالفه إلى القتل والتصفية، أو السجن مدى الحياة.

تستخدم تركيا المقولة التالية: "لا توجد أمة كردية، إنهم جميعا من الأتراك"، وتنكر كل ما يخالف ذلك. وهذا يعني أنها تنكر وجود الكرد. وبإعلانها أن جميع الكرد أتراك تريد أن تقول أن من غير الممكن "المطالبة بحقوق لأمة لا وجود لها". ولابد من التعليق ببضع كلمات على مسالة العنصرية، فالعنصرية التركية لا تشبه العنصرية التي وجدت في الولايات المتحدة والتي كانت موجودة في جنوب أفريقيا بأن يجري الفصل بين الأجناس على مستوى المحلة السكنية والمدارس والمقاهي أو على سواحل البحر، إذ أن للعنصرية التركية وجه آخر، فهي تستهدف تدمير الثقافة الكردية باستخدام عنف الدولة، وبأن تفرض على الكرد الثقافة التركية ولغتها. أنهم يريدون إنكار وجود اللغة والأمة الكردية، وهم يعتبرون جميع السكان أتراكا. إن العالم برمته لم يشهد نظيرا لهذا النوع من العنصرية، إنها أكثر تدميرا ورجعية من السياسة الرجعية المطبقة في جنوب أفريقيا، إنها عنصر ملازم للاستعمار التركي المطبق في كردستان.

تنطلق العنصرية التركية ضد الشعب الكردي وكذلك العربي من تلك المقولة التي ترفض وجود أي شخص آخر غير تركي على الرغم من العرق التركي نفسه يعتبر أقلية إذا ما تم إجراء إحصاء دقيق، وهي حرب مستمرة ومتجذرة في الذهنية التركية تتخللها بعض الخطوات التكتيكية لجذب الكرد أو العرب أثناء الانتخابات، كما فعل أردوغان مراراً عندما دغدغ مشاعر الكرد البسطاء بوجود كرد في البلاد، قبل الانتخابات البرلمانية، ليلتف بعد ذلك على اعترافاته ويبدأ بحملة تطهير عرقية كبيرة أشارت لها المنظمات الحقوقية العالمية حيث واصلت آلة الحرب التركية في تهجير من لم يشمله عمليات القتل وخاصة في تسعينات القرن الماضي، وتشير الإحصائيات إلى تهجير سكان أكثر من 4 آلاف قرية كردية في باكور كردستان ونفي آخرين إلى الدول الأوروبية، لتستكمل تلك الآلة ما بدأت به ولكن هذه المرة في إفراغ المدن ومنها نصيبين وشرناخ وسلوبي وجزير في العام 2016، حيث سجلت الأمم المتحدة تهجير أكثر من نصف مليون كردي عن ديارهم في تلك المدن بناء على أوامر أمنية تركية واستناداً إلى مقاربات تتعلق بالعرق والخلفية السياسية.

يقول قائد الانقلاب في 1980 كنعان ايفرين أنه لا يوجد كرد في تركيا، وكلمة "كرد" هي مجرد أصوات لارتطام الحذاء التركي بالثلج، فتصدر صوت "كرت".! إلى هنا وصلت الأيديولوجية المقيتة للأنظمة التركية.

لقد جُرِّبَت وكانت ستُجَرَّبُ أساليب جديدة في حبكِ المؤامرات بغيةَ القضاء على الهوية الكردية في عهدِ القوة المهيمنة الجديدة تلك. ولأول مرة جرت بروفات ذلك علناً في أعوامِ التسعينيات تحت اسمِ "حزب الله في تركيا" (وهو الكيان الذي يُطلقُ عليه شعبُ كردستان تسميةَ حزب الكونترا). وعلى حدِّ القول الذي أدلى به علانيةً مؤسِّسُ "قوات الدرك والاستخبارات ومكافحة الإرهاب JİTEM" العقيد عارف دوغان، فحزبُ الكونترا كان كياناً شَكَّلوه هم بذاتِ أنفسهم. والكلُّ على علمٍ أنّ هذا الكيان لعب دوراً هاماً في قتل ما يناهز العشرة آلاف إنساناً تحت اسمِ "فاعل مجهول". وبعدَ هذه التجربة، جرى الانتقالُ إلى المرحلة الثانية من خلالِ AKP. وبينما كانت نزعةُ الإسلامِ السُّنِّيِّ المعتدلِ النموذجَ التصفويَّ الأساسيَّ والوسيلةَ الأوليةَ لتطبيقِ ذلك النموذجِ الذي ارتآه AKP من أجلِ كردستان بمعيةِ حلفائِه (القوى الطرائقية والشركات القابضة المتحالفة معه، وبشكلٍ خاصٍّ الكيان المعروف باسمِ جماعة فتح الله غولان، بينما هو في حقيقتِه دولةٌ عميقةٌ شادَتها أمريكا ككونترا أخضر بدلاً من الكونترا الأسود القومي المتطرف)؛ فإنّ البنيةَ التي ارتآها كقوةٍ مُحَرِّضةٍ جديدةٍ عوضاً عن حزب الكونترا، هي الكيانُ الذي نَنعتُه بكونِه ضرباً من ضروبِ "منظمة حماس الكردية". إنّ خطةَ التصفيةِ الجديدةَ لا تُهَمِّشُ كلياً الأسلوبَين الفاشيَّين التركيَّين الأبيضَ والأسودَ القديمَين، بل إنها ذاتُ ماهيةٍ مُتَمِّمةٍ بالأرجح، وتنهمكُ بإعادةِ ترتيبِ المجالاتِ التي فشلوا في التأثيرِ عليها من جديد. وتعتمدُ على فصلِ تلك المجالاتِ إلى خمسةِ أو ستةِ أقسامٍ هي: اقتصادية، اجتماعية، ثقافية – نفسية،

عسكرية، سياسية، ودبلوماسية بموجبِ "مكافحة إرهاب PKK وامتداده داخل المدن KCK"؛ وترتأي ترتيبَها بنحوٍ أكثر انتظاماً وتركيزاً. وقد عملَ AKP ولا يزالُ يعملُ على إدخالِ تلك الترتيباتِ قيدَ التنفيذِ بوتيرةٍ سريعة، وخاصةً عن طريقِ "اتفاقيةِ دولما بهجه" التي أبرمَها مع الهيئةِ القياديةِ الرسميةِ للجيشِ في 4 أيار 2007 (الاتفاقية التي توصلَ إليها رئيس الوزراء أردوغان مع رئيس هيئة أركان الجيش حينذاك يشار بيو كانت، والتي أَقَرّ فيها الاثنان عدمَ الإفشاءِ بها إلى الممات)، وكذلك من خلالِ "اتفاقيةِ واشنطن" التي أبرَمَها مع أمريكا في 5 تشرين الثاني 2007. وعملياتُ القصفِ الجويّ التي لَم يُرَ لها مثيلٌ من قبل، تشاطرُ الاستخباراتِ لحظياً مع أمريكا، التمشيطاتُ ضد KCK، إغلاقُ "حزب المجتمع الديمقراطي DTP"، مبادراتُ المجتمعِ المدنيّ البورجوازيّ الكرديّ الزائفة، الهجماتُ المستهدفةُ لفضائيةِ روج، التمشيطاتُ وحملاتُ الاعتقالِ الواسعةُ التي طالت الكردَ في البلدانِ الأوروبية، انتشارُ الشركاتِ القابضةِ في كافةِ المحافظاتِ الكردستانية، وإلحاقُ الأطفالِ بـ"المدارس الداخلية YİBO"؛ كلُّ ذلك وما شابهه من ممارساتٍ لأمثلةٍ بالغةِ الأهمية، إنما يَمدُّنا برؤوسِ خيطٍ لا يُستَهانُ بها بصددِ تلك الترتيباتِ الجديدة. في الحقيقة، لقد أُقحِمَ الواقعُ الكرديُّ والهويةُ الكرديةُ في وضعٍ باتَ فيه أمامَ حصارِ حربٍ خاصةٍ هي الأشملُ نطاقاً مما شهدَه في تاريخِه، حربٍ ممنهجةٍ ومدروسةٍ على كافةِ الأصعدة (اقتصادياً، ثقافياً، اجتماعياً، سياسياً، عسكرياً، دبلوماسياً، ورياضياً وما إلى ذلك). هذا ودارت المساعي لتقديمِ بعضِ

الأمثلةِ المسماةِ بالانفتاحِ الديمقراطيّ (دورات تعليم اللغة الكردية، حرية الإعلام، فضائية TRT-6، توزيع الفحم والسلع البيضاء، وعُمِلَ على الترويج لها بدعاياتٍ واسعةٍ بغرضِ إخفاءِ حقيقةِ تلك الإبادةِ والتسترِ عليها. زِدْ على ذلك أيضاً استثماراتِ رأسِ المالِ في جنوبِ كردستان، والعلاقاتِ الدبلوماسية، والتحالفاتِ الثلاثية (التحالف العراقيّ – الأمريكيّ – التركيّ، والتحالف السوريّ – الإيرانيّ – التركيّ؛ أي إكمالُ الحصارِ الداخليّ بالحصارِ الخارجيّ). وهكذا يَكُونُ قد أُطلِقَ العنانُ في الحياةِ العمليةِ لحربٍ علنيةٍ وسرية، مكشوفةٍ ومستورة، حربٍ خاصةٍ ومُبيدةٍ تطالُ المجالاتِ الاجتماعيةَ برمتِها، وهي الأشمل نطاقاً في سياقِ التاريخ.

تبدأ أولى اجراءات العنصرية التركية بإنكار الهوية الكردية:

الكرد في تركيا يستطيعون التمتع بالحريات العامة شريطة إنكارهم لهويتهم القومية. إذ لا يطبق على الكرد في هذا البلد مبدأ المساواة، وهو مبدأ أساسي من مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية إلا إذا أنكروا هويتهم الكردية. ويتم ذلك، دون شك، عن طريق الإكراه. ويمارس هذا الإكراه في مراكز الجندرمة والشرطة ومراكز الحرس والسجون باستخدام الضغط والتعذيب. كما يتضح هذا الإكراه أيضا في وثائق الاتهام وفي قرارات الحكم الصادرة عن المحاكم. وتسخر الصحافة والإذاعة والتلفزيون التركي إلى جانب الإدارات الحكومية لكي تساهم في عمليات

الإكـراه هـذه. وينطبـق ذات الشـيء علـى المؤسسـات التعليميـة والدينية.

وبإمكـان الكـردي الـذي ينكـر انتمائـه القـومي والـذي يصـبح تركيـا، ويعلـن أنـه تركـي وهـو سـعيد بـذلك، أن يحصـل علـى كـل مـا يريـد. أي أن يصـبح عـاملاً وحارسـاً وبرلمانيـاً وطالبـاً ورياضـياً ونائبـاً وحاكمـاً ورجـل أعمـال وجنـدي ومعلـم ووزيـر أو أسـتاذ فـي الجامعـة. أمـا إذا أصـر هـذا الشـخص علـى أنـه كـردي ويطالـب بحقوقـه القوميـة فـلا يمكنـه أن يصـبح شـيئاً. وليسـت أمامـه سـوى فرصـة واحـدة يسـتطيع الحصـول عليهـا فـي تركيـا: أن يصـبح متهماً وسجيناً.

ويعنـي تنكـر هـذا الشـخص لهويتـه القوميـة قبولـه بالعبوديـة والاسـتلاب. والعبـد ومـن اسـتلبت شخصـيته كـائن فـزع وعـدواني. فعلـى مـن سـيعتدي هـذا الخـانع للاضـطهاد والإكـراه الـذي تمارسـه السـلطة الاسـتعمارية؟ إنـه سـيوجه عدوانـه دون أدنـى شـك نحـو أصـدقائه وأسـرته. ولكـي يفعـل ذلـك سيسـتغل أي مبـرر مهمـا كـان تافهاً لكي يبلغ غضبه ويبرر عدوانيته.

لقـد تعرَّضَـت الثقافـة الكرديـة بكـلِّ مكوّناتهـا الماديـة والمعنويـة لإنكـارٍ تـامٍّ وحظـر مطلـق فـي هـذه الفتـرة، وبُـذِلَت الجهـود لإتمـامِ الإبـادة الثقافيـة بممارسـات الصـهر اللامحـدودة. ولَـم تُـتَحْ الفرصـة أمـام الكـرد حتـى لفـتح "مدرسـةٍ" واحـدة فقـط يُحيُـون فيهـا وجـودهم الثقـافيّ. موضـوع الحـديث هنـا هـو تطبيـق لا نـدَّ لـه فـي كافـة بقـاع العـالَم. حيـث لَـم يُشَـرْ إلـى جملـة "الهويـةِ الثقافيـة" فـي أيـةِ مـادة قانونيـة كانـت. أي أنّ الثقافـة الكرديـة بكـلِّ مقوماتِهـا (الآداب،

التاريخ، الموسيقا، الرسم، العلم وما شابه)، اعتُبِرَت خارجة على القانون. وهذا أيضاً لا مثيل له بتاتاً على وجهِ البسيطة. فالعناصرُ المعنيةُ بالثقافة، والتي ينبغي تدميرُها وإفناؤُها، قد دُمِّرَت وأُفنِيَت؛ والتي يتوجبُ استخدامُها من بينِها، قد أُرفِقَت بثقافةِ الدولةِ القوميةِ البورجوازية، واعتُبِرَت ثقافةً تركية بعد صهرِها وتذويبِها. وبالإضافةِ إلى حظرِ اللغة الأم، حُظِرَت جميعُ أسماء القرى والمدن والمناطقِ التاريخية، وحُظِرَ اسمُ الوطنِ الأم؛ وأُقيمَت محلَّها الأسماء "التركيةُ البيضاء" باللغةِ التركية، وهكذا قُدِّرَ أنّه بذلك سيُقضى على وقائعِها أيضاً. هذا وأُدرِجَت جميعُ أنماط التعبير عن الثقافة الكردية من آدابٍ وموسيقا ورسمٍ وتاريخٍ وعلوم في إطارِ الحظرِ عينِه. كما وذُهِبَ إلى أبعد من ذلك، ليُعلَنَ عن الناشطين في تلك الحقول على أنهم خارجون على القانون. بل وشُلَّ تأثيرُهم، وحُكِمَ عليهم بالتخبط في البطالة والفقر والحرمان. وفُرِضَ التخلي عن ثقافة كينونة الذات، ونُفِّذَ ذلك كشرطٍ لا بديل له من أجلِ الحياة. زدْ على ذلك استخدامُ الاقتصادِ والقانونِ والسياسةِ كأكثرِ الأسلحةِ فتكاً في التصفية، وخاصةً بعد مرحلةِ التمردِ والعصيان. وما بقيَ من تلك الممارسات، جثةٌ ثقافيةٌ كردية تخلَّت عن نفسِها، ومجردُ الاقترابِ منها سيسفرِ عن الابتلاءِ بلاءً حسناً. إنها جثةٌ تُستَهلَكُ كلما جُزِمَ بأمرِها. وبالطبع، فهي جثةٌ أَشبَهُ بتفسخ وتَحَلُّلِ العناصرِ المتبقية مما نَهَشَته غِربانُ الجيف! لقد شَهدَت الظاهرةُ الثقافية الكردية سياقاً فظيعاً من التفسخِ والانحلال، ولا تزال.

ولا يتأخر القادة الأتراك والصحافة والجامعات التركية الذين يمارسون بحق الشعب الكردي سياسة الصهر والعنصرية والإبادة في استخدام تلك القيم والمفاهيم. فالسياسيون الأتراك ورجال الدولة والصحافة والجامعات التركية يترددون جميعا في استخدام هذه القيم والمفاهيم لاستنكار الاضطهاد العنصري الذي تتعرض له الأقلية التركية في بلغاريا. بل أن السياسيين الأتراك ورجال الصحافة وأساتذة الجامعات يرفعون شكاوى ضد اضطهاد الأتراك إلى المنظمات الدولية مستخدمين هذه القيم وتلك المفاهيم التي تدافع عن حقوق الإنسان.

إن الأمر إذن يتعلق بأخلاقية ذات وجهين في الأقوال والأفعال: أن يحتجوا من جهة وسيستنكروا سياسة الصهر العنصري والإبادة في بلغاريا، ويمارسون من جهة أخرى سياسة أخطر شأنا وأكثر انتظاماً وبأسلحة أكثر فتكاً ضد الكرد منذ سنوات، وهم في عقر دارهم ووطنهم. إنهم يحتجون على سياسة الصهر العنصري للأتراك في بلغاريا، ويؤيدون ويصفقون لنفس هذه السياسة وللإرهاب الذي تمارسه الدولة والحكومات التركية ضد الشعب الكردي.

"كل الناس متساوون في تركيا، وكلهم يعاملون بنفس الطريقة دون تمييز حسب اللغة والعنصرية"، تلك هي الأقوال التي غالباً ما يرددها رجال الدولة والسياسيون ويكررها أساتذة الجامعات والصحفيون والكتاب الأتراك. لكن تفسير هذه الأقوال يكشف عن أخلاقية ذات وجهين. فمقولة "أن الناس في تركيا أحرار في ممارسة شعائرهم الدينية ولا فرق بينهم" تفسر على الوجه

التـالي: المسـيحيون فـي تركيـا أحـرار فـي ممارسـة شـعائرهم الدينيـة شـأن المسـلمين، ولليونـانيين والأرمـن كنائسـهم ولليهـود كنسـيهم. وكـل شـخص حـر فـي إقامـة صـلاته. لكـن السـماح بحريـة العبـادة يفتـرض أن يحصـي أولاً عـدد الأديـان ثـم نتحـدث عـن المسـاواة فيمـا بينهـا. لكـن التأكيـد علـى أن كـل النـاس متسـاوون فـي تركيـا، وألا حسـب اللغـة والعنصـرية، لا يفسـر بهـذا المعنـى، إذ أن جميـع النـاس فـي تركيـا أتـراك وجميـع الأتـراك متسـاوون، ويصـرون علـى عـدم وجـود فـوارق بـين الأتـراك فـي اللغـة، متجـاهلين الفـوارق بـين اللغـات، وتعـددها فـي تركيـا. وهـذا مـا لا يمكـن أن يعنـي سـوى أن المسـاواة لا تكـون إلا بشـرط الخضـوع لعمليـة التتريـك. وعنـدما يقـال بـأن لجميـع النـاس حقوقـاً متسـاوية فـي لغـتهم يقصـدون بـذلك اللغـة التركيـة. وبهـذه الطريقـة وحـدها تكون العدالة مضمونة للجميع.

كمـا يقـال بـأن كـل الـذين يقبلـون بالتتريـك يكونـون أتراكـاً. وقـد تبـدو هـذه الفكـرة لأول مـرة تعبيـراً عـن التسـامح. وبإمكاننـا أن نفتـرض بـأن الـذين لا يشـعرون بكـونهم أتراكـاً، أي أولئـك الـذين يقولـون بـأنهم كـرد، سـيعاملون بطريقـة تنطـوي علـى المسـامحة. لكـن هـذا الافتـراض خطـأ محـض، إذ لا يوجـد فـي تركيـا مثـل هـذا التسـامح. إذا أن جميـع النـاس مجبـرون وفقـا للإيديولوجيـة الرسـمية علـى أن يكونـوا أتراكـاً. ومـن الممنـوع أن يكـون المـرء كرديـاً. وعلـى ذلـك مـات فـي الفتـرة مـا بـين 1981 و1984 فـي سـجن ديـار بكـر وحـده مـا يزيـد علـى 40 ثوريـا كرديـاً تحـت التعـذيب لأنهـم أصـروا علـى إعـلان هـويتهم الكرديـة ورفضـوا الـتلفظ بصـوت عـال: "أنـا تركـي وأنـا سـعيد لأن أكـون تركيـا" لقـد ضـحى هـؤلاء الثوريـون

بحياتهم لكي ينقلوا رسالتهم إلى الرأي العام. وبكلمة أخرى، إن هؤلاء الثوريين إنما قدموا حياتهم ثمناً مقابل التعبير عن رفضهم لإرهاب الدولة. ونعلم أن عدد الذين ضحوا بحياتهم حتى ينكروا هويتهم الكردية يتجاوز الأربعين بكثير.

اللغة الكردية ممنوعة:

كان أحد أهم نتائج منع اللغة الكردية في تركيا وأكثرها كارثية بحق الشعب الكردي هو التشكيك في هوية الشعب الكردي، من خلال ازدواجية الشخصية الثقافية تبعاً لازدواجية اللغة المتحدث بها وبالنظر إلى انتشار اللغة التركية بين المثقفين الكرد واللغة الدارجة المليئة بالمفردات التركية بين العامة.

حيث لم يكن الكرد يتجرؤون حتى على مجرد الكلام باللغة الكردية في ما بينهم خوفاً من اتهامهم "بالنزعة القومية". ولم يكن بمقدورهم القول بصراحة أنهم كرد، وكانوا يبذلون جهداً كبيرا حتى يظهروا بمظهر أكثر المؤيدين إخلاصا للماركسية اللينينية، وجهداً إضافياً حتى لا يعكسوا خصائصهم القومية الكردية.

بدأت الدولة التركية حملة حملت اسم "تكلم التركية أيها المواطن" عام 1928 من جمعية طلاب كلية القانون في جامعة استنبول. وهدفت تلك الحملة جعل المواطنين، الذين ينتمون لأثنيات مختلفة غير التركية، يتكلمون التركية حتى فيما بينهم في الأماكن العامة: مثل وسائل النقل العام والمقاهي وحتى في الشارع. كانت هذه نتيجة للخطاب القومي للدولة ودعمت تلك

الحملات من قبل الدولة. وهكذا كان على المكونات الأخرى غير التركية، التي كانت قد أجبرت على التكلم بالتركية في المباني الحكومية مع الموظفين الرسميين، أن تتخلى عن حقها في تكلم لغتها الأم في حياتها اليومية.

وضع الكاتب الإنجليزي Harold Piner مسرحية بعنوان "لغة الجبال". وقال Piner أنه استلهم هذه المسرحية بعد تعرفه على حالة الكرد في تركيا (مجلة Tempo عدد 1، مايو/أيار 1989). موضوع المسرحية زيارة تقوم بها أم تجهل اللغة التركية إلى ابنها في أحد السجون. وأثناء حديثها مع ابنها يتدخل أحد حراس السجن ويقطع حديثهما بشراسة موجهاً كلامه إلى الأم: "لقد اختفت لغتكم، إنها ممنوعة، ولن يتكلم أحد من الآن فصاعدا لغة الجبال. عليك أن تتكلمي اللغة الرسمية للبلاد". وهكذا انقطع حديث الأم مع ابنها. وفي إحدى الزيارات اللاحقة يهمس أحدهم في أذن الأم قائلا: يمكنك التحدث مع ابنك بلغة الجبال فقد سمحوا بذلك حتى إشعار آخر. وعندما يلتقيان يقول الابن لأمه: "الآن يمكننا التحدث بلغتنا.. لقد سمحوا بذلك" بيد أن الأم لم تنطق ببنت شفة رغم الحاح ابنها وتوسلاته إليها أن تتكلم، محاولة ترجمة غضبها وحقدها من خلال نظراتها. إن من الممكن تفسير مضمون الصمت والغضب كمرحلة نلاحظ خلالها أشياء معينة وفيها نزرع أولى بذور يقظة الوعي. كما أن نمو الوعي يدفع إلى الاحتجاج. لقد حاولت الأم التعبير عن احتجاجها بصمتها.

وثمة وسيلة أخرى استخدمها الكماليون لكي يحجبوا ما يفعلونه بالكرد، هي نعتهم بالعنصرية. أما الأساليب التي يمارسونها في تحريم اللغة والثقافة الكردية، وإجبار الكرد على تعلم اللغة والثقافة التركية وإخضاعهم لعملية الصهر والتتريك بطريقة مكثفة وتغيير أسماء الكرد وأسماء المواقع الكردية وتتريكها، وفرض غرامات على من يتكلم باللغة الكردية والقضاء على الكرد وعلى ثقافتهم القومية مثل ذلك من وجهة نظر الكماليين أساليب ثورية وديمقراطية. وعندما يطالب الكرد بحقوقهم القومية، وينظمون أنفسهم لتحقيق ذلك، فإنهم يسلكون مسلك الشوفينيين.

نتيجة طلب عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الشعبي (SHP) الذي يعد نفسه اشتراكياً ديمقراطياً، (فؤاد أطلاي) إصدار نسخة من برنامج الحزب باللغة الكردية، واعترافه بوجود هذه اللغة، أحيل إلى لجنة التحقيق الداخلية في الحزب وطرد من الهيئة المركزية، وتعرض إلى عدد من الإهانات عبر الصحافة البرجوازية مثل: "رجل لا حياء عنده"، "المطلب المقرف"، وهذا يبين ما يجعل الطغمة تعطي الإجازة، والموقع وهو بمثابة المثال الذي يظهر قوة تأثير أيديولوجية شوفينية للقومية الساحقة.

ولا تنتهي أشكال القمع وتطبيقاته في سبيل إزالة اللغة الكردية. وفي إحصاء السكان لسنة 1985، معروف جيداً ماذا جرى للذين كتبوا جانب خانة "اللغة الأم" كلمة الكردية، تعرضوا للملاحقة والاعتقال والتحقيق. (علماً أنه يوجد في بطاقة إحصاء

السكان، ومقابل حقل اللغة الأم، اللغة الكردية بين الترجيحات المعتمدة، وهذا ما فجر ضجيجاً كبيراً، وسبب إلى فتح تحقيقات مع الموظفين حول هذا الموضوع) لو طرحنا قضية منع الأغاني الشعبية بسبب احتوائها على بعض الكلمات الكردية، سيظهر تلقائياً حجم القمع المنفذ.

حسب مفهوم القومية لدى الدولة التركية، فإنه كان يجب وضع تعريف (هوية) للأمة وهذا التعريف لا يعني فقط لغة واحدة بل أيضاً ثقافة واحدة وعادات واحدة وتاريخ واحد. وهكذا، وبالإضافة للتغيير في الممارسات اليومية للمجموعات القومية الأخرى، فإن الدولة تجاهلت أو أعادت كتابة تاريخ وعادات وثقافات تلك المكونات. حيث اعتبرت عاداتهم عنصر شديد الخطر. وقد تم الإعلان عن هذه الرؤية بشكل واضح في (خطة الإصلاح في الشرق). وقد أعدت الدولة تلك الخطة وأرسلت إلى المدن التي كانت يقطنها الكرد عام 1925 بعد ثورة الشيخ سعيد. وتقول المادة الثانية عشرة من الخطة : "يجب عدم النسيان أن الملابس والأغاني والرقصات واحتفالات الزواج وعادات وتقاليد المجتمع هي روابط تبقى الإحساس القومي متيقظاً وتربط المجتمع بتاريخه. لذلك من الضروري السعي للبيان بأنه، وإلى جانب اللغات المحلية، هذه التقاليد شريرة وضارة .....وباختصار جعلهم تركاً". ولم يمر وقت طويل بعد توزيع هذه الوثيقة حتى بدأت الدولة السعي لتحقيق هدفها بـ "تتريك التقاليد". وكانت الخطوة الأولى في ذلك هي جمع هذه التقاليد، مثل الأغاني الفلكلورية وتحويرها إلى الثقافة واللغة التركية.

العنصرية التركية والصورة الذهنية عن الشعب العربي:

تقدم وسائل الإعلام التركية بحسب الباحث التركي فاروق بوزكوز صورة العربي كما تصورها وسائل الإعلام الغربية التي شوهتها افلام هوليوود: بدوي، غدار، لا يوثق به، زير نساء، غير متعلم، غير ديموقراطي وخانع. وهذه الصورة تتواتر يومياً من خلال تلك الأفلام. وهناك فريق آخر هم وإن عددهم قليل جدا في المجتمع التركي يرى أن "التشرذم العربي" وعدم استطاعتهم- أي العرب- السمو بأخلاقهم وتصرفاتهم، إضافة إلى خيانتهم للأتراك، هو أساس مشاكل الشرق الأوسط، لأن العرب لم يتركوا أثراً إيجابياً في المسلمين، بل إنهم كانوا قدوة سيئة للمسلمين جميعاً، بعد أن أوغلوا في الاجرام، فقتلوا عمر وعثمان وأحفاد النبي (الحسن والحسين)، إضافة إلى أنهم يمارسون الرذائل الشهوانية كافة ويعاقرون الخمر ويلعبون الميسر ويتعاطون الزنا لأن الفساد مختمر في أرواحهم.

ويؤكد بوزكوز ما ذهب إليه المفكر عبد الرحمن الكواكبي عن نظرة الأتراك للشعب العربي، حيث وبحسب الكواكبي أن افتخار الأتراك بمحافظتهم على غيرية رعاياهم (فلم يسعوا إلى استتراكهم) هو كذب وادعاء، لأن السبب الحقيقي وراء ذلك هو بغضهم للعرب واحتقارهم لهم، ويقدم دليلاً على ذلك أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال (ديلنجي عرب: العرب الشحاذون، عرب عقلي: عقل عربي أي صغير، بِسْ عرب: عربي قذر، وهم يطلقون لفظة عرب على الرقيق وكل حيوان أسود وإطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين

الأجلاف، و(عرب جنكنه سي) أي نَوَر العرب،... وقولهم عن عرب سوريا (نَه شامِكْ شَكِري وُ نَهْ عربك يُوزي) أي دع الشام وسكرياتها، ولا ترَ وجوه العرب... و(عرب جكه سي) أي حنك عربي، أي كثير الهذر. وقولهم (نِرْدَهْ عرب نِرْدَهْ طنبور) أي، أين العرب من الطنبور؟

وانطلاقاً من تلك الصورة، حاولت الأنظمة التركية المتعاقبة الاستفادة من خيرات الدول العربية واستغلالهم في تمرير مخططاتها، فاصطنعت شخصية أردوغان لاختراق الجسد العربي الهزيل أصلاً بفعل بعض الحكام العرب، وساهمت الفضائيات العربية وعلى رأسها الجزيرة القطرية بابتكار تلك الشخصية وتقديمها للعرب على أنها المنقذ الوحيد، في حين استفادت تركيا وبشكل عملي من أردوغان في تخدير العرب وإمحاء ذاكرتهم عن المجازر التركية المرتكبة بحقهم.

عـــــلاج ومكافحـــــة ظـــــاهرة العنصـــــرية:
مـن عرضـنا السـابق يتضـح لنـا أن العنصـرية وليـدة التربيـة السـيئة التـــي بثهـــا دول الاســـتعمار فـــي نفـــوس شـــعوبها، وأنهـــا وليـــدة ظـــروف اجتماعيـــة ونفســـية ســـيئة، وأنهـــا فـــي واقعهـــا تمييـــز اجتمـــاعي بـــين أفـــراد المجتمـــع ومـــن أخطـــر الأمـــراض الاجتماعيـــة التـــي عرفتهـــا الإنســـانية لتعقـــدها وصـــعوبة القضـــاء عليهـــا حتـــى أن الـبعض مـن العلمـاء سـلم بأنهـا مـرض اجتمـاعي لا دواء لـه يقـول الـبعض « لقـد أصـبحت عمليـة فلـق الـذرة الآن أسـهل مـن عمليـة القضـاء علـى التعصـب» ومـراد هـذا الشـعور بالخيبـة والاستسـلام لهـذه الظـاهرة فشـل جـل المحـاولات التـي اتخـذت حتـى الآن فـي سـبيل القضـــاء عليهـــا، حيـــث لـــم تعـــط هـــذه المحـــاولات النتـــائج المطلوبـــة مـــن الانـــدماج الاجتمـــاعي بـــين العناصـــر المتنـــاحرة علـــى أســـاس مـــن العـــدل والمســـاواة الإنســـانية. والواقـــع أن هـــذه الظـــاهرة الخطيـرة لا تحـارب فـي غالـب الأحيـان- بالـدواء الـلازم لهـا، فهـي تحـارِب بـــالقوانين والتشـــريعات، ولكـــن القـــوانين وحـــدها لا تحقـــق الغايـــة المنشـــودة بـــدون وعـــي وإيمـــان بصـــلاحية هـــذه القـــوانين، وتحـــارب أحيانـــاً بهجومـــات عميقـــة ودعـــوات مســـتنكرة لوجودهـــا، والأولـــى مـــن ذلـــك كلـــه أن تحـــارب الظـــروف التـــي أدت إلـــى هـــذا التعصـــب والعنصـــرية، لأن التعصـــب اخـــتلال فـــي العلاقـــات الاجتماعيـــة كمـــا تبـــين لنـــا آنفـــاً .. والحكمـــة فـــي إصـــلاح هـــذا الاخـــتلال كامنـــة فـــي إصـــلاح أســـباب هـــذا الاخـــتلال، وكمـــا أن الخـــوف أســـاس كـــل صـــراع وكراهيـــة واضـــطهاد، الخـــوف علـــى المصـــالح الاقتصـــادية والخـــوف مـــن الحـــرب والخـــوف مـــن فقـــد الاعتبـــار الاجتمـــاعي والخـــوف مـــن الفـــروق بـــين الجماعـــات ...

ومن عوامل هذا الصراع كذلك الجنوح في إسقاط الصفات القبيحة على جماعات السود وتأثر الطفل في أسرته بالتباين الاجتماعي الخطير بين البيض والسود.
إن العنصرية والتمييز العنصري، ما هي إلا مرض أصاب بها المجتمع الإنساني في مرحلة ظهور الذهنية الطبقية واستغلال الإنسان لخدمتهم. وبقدر معرفة العنصرية وآثارها السلبية التي خلفتها والتي تعادل تأثيرها مخلفات القنبلة النووية- الذرية بين المجتمعات والشعوب بقدر ما نستطيع أن نكافح ونتجاوز هذا المرض والذهنية الطبقية.

وبما أن العنصرية قد زرعت في ذهنية الإنسان وكبرت على أساس ذلك، وأصبح كطبيعة الإنسان، فإن هذه العقلية يمكن شحذها من الجذور بدون أي سلبيات على المجتمع الإنساني بل بالعكس يزدهر وينهض المجتمع الإنساني بالخلاص من هذا المرض.

فأن مكافحة وتجاوز هذه الذهنية العنصرية لا تكون إلا من خلال معرفة التاريخ الإنساني وبني جنسه ومعرفة الذهنية السلطوية التي فرضتها على الإنسان والتي أصبح كجزء أو شيء بيولوجي من طبيعته. أيضا مع تعمق العنصرية وتغلغلها إلى أدق مسامات المجتمع بحيث لم يكتفي بالعنصرية العرقية، بل تجاوز ذلك إلى عنصرية وشوفينية أثنية، دينية، طائفية، مذهبية، وحزبية وحتى عائلية ونسبية على أساس انتماء الإنسان إلى عشيرة ما، وبالأخير ظهر مصطلح بلدان العالم الثالث.

فعلاج هذه الظاهرة يجب أن يقوم على الأسس الآتية:

1-محاربة الإشاعات الكاذبة والنظريات المفتعلة عن اختلاف الشعوب ونشر المعلومات الصحيحة عنها.
2-العمل بكل الوسائل على تشجيع الاختلاط بين الناس في كل المجالات وخاصة الروابط والعلاقات الاجتماعية.
3-علاج التوترات النفسية والاجتماعية الناتجة عن الظروف الاقتصادية والسياسية وذلك بنشر المبادئ الديمقراطية بين الجماعات المختلفة.
بهذه الوسائل العلمية العملية ووجود نيات صادقة وعزيمة قوية. ووجود اختصاصيين في حقل الدراسات النفسية والاجتماعية يمكن علاج هذه العلة الاجتماعية القذرة التي يرتكبها عنصريون في حق الإنسانية وستجد الإنسانية نفسها في يوم- إذا لم يقض على هذه الظاهرة الخطيرة- إنها على شفا حرب عالمية عنصرية.

هذا وفي المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، أكد من خلال الإعلان وبرنامج العمل على تدابير المنع والتثقيف والحماية الهادفة إلى القضاء على العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب على الصُعُد الوطني والإقليمي والدولي:

٧٦ - نسلّم بأن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المجحفة يمكن أن تؤدي إلى تنامي وتفشي ممارسات العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، التي تؤدي بدورها إلى تفاقم اللامساواة. ونحن نعتقد أن التكافؤ الحقيقي في الفرص للجميع وفي جميع المجالات، بما في ذلك في مجال التنمية، أمر أساسي للقضاء على العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛

٧٧ - نؤكد أن انضمام جميع دول العالم إلى الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ووضعها موضع التنفيذ التام أمران لهما الأهمية القصوى في تعزيز المساواة وعدم التمييز في العالم؛

٧٨ - نؤكد من جديد الالتزام الرسمي لجميع الدول بأن تعزز على نطاق عالمي احترام ومراعاة وحماية جميع حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية، بما في ذلك الحق في التنمية، باعتبارها عاملاً أساسياً في منع واستئصال العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛

٧٩ - نعتقد اعتقاداً راسخاً أن العقبات التي تحول دون إزالة التمييز العنصري وتحقيق المساواة العنصرية تكمن بصفة رئيسية في انعدام الإرادة السياسية وضعف التشريعات وعدم اتخاذ الدول استراتيجيات تنفيذية وإجراءات ملموسة وفي انتشار المواقف العنصرية والتنميط السلبي؛

٨٠ - نعتقد اعتقاداً راسخاً أن التعليم والتنمية وتنفيذ معاييرنا والتنفيذ الأمين لالتزاماتنا الدولية في مجال حقوق الإنسان، بما في ذلك سن القوانين ووضع السياسات على الصُعُد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إنما هي مسائل حاسمة الأهمية لمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛

٨١ - نسلّم بأن الديمقراطية والحكم السديد الذي يتسم بالشفافية والمسؤولية والمساءلة ويقوم على المشاركة ويستجيب لاحتياجات وتطلعات الناس، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وسيادة القانون، هي أمور أساسية للتوصل على نحو فعّال إلى منع واستئصال العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب. ونؤكد من جديد أن أي شكل من أشكال الإفلات من العقاب فيما يتصل بالجرائم التي ترتكب بدوافع العنصرية وكره الأجانب إنما يسهم في إضعاف سيادة القانون والديمقراطية ومن شأنه أن يشجع على تكرار ارتكاب مثل هذه الأفعال؛

٨٢ - نؤكد أن الحوار بين الحضارات يشكل عملية تسمح بتحديد وتعزيز أسس مشتركة بين الحضارات، والاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع بني البشر وبحقوقهم المتساوية وتعزيزها، واحترام مبادئ العدل الأساسية؛ وعلى هذا النحو، يساعد الحوار على تبديد مفاهيم التفوق الثقافي القائمة على العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل

بـذلك مـن تعصـب، وتيسـير بنـاء عـالم يسـوده الوئـام بـين أفـراد الأسرة البشرية؛

٨٣ - نؤكـد الـدور الرئيسـي الـذي يمكـن وينبغـي أن يؤديـه الزعمـاء السياسـيون والأحـزاب السياسـية فـي مكافحـة العنصـرية، والتمييـز العنصـري، وكـره الأجانـب، ومـا يتصـل بـذلك مـن تعصـب، ونشـجع الأحـزاب السياسـية علـى اتخـاذ خطـوات ملموسـة في سبيل تعزيز التضامن والتسامح والاحترام؛

٨٤ - نـدين اسـتمرار وعـودة النازيـة الجديـدة والفاشـية الجديـدة والأيـديولوجيات القوميـة العنيفـة القائمـة علـى التحامـل العنصـري أو القـومي، ونعلـن أن هـذه الظـواهر لا يمكـن تبريرهـا فـي أي حال أو في أي ظرف؛

٨٥ - نـدين البـرامج والتنظيمـات السياسـية القائمـة علـى أسـاس العنصـرية وكـره الأجانـب أو مـذاهب التفـوق العرقـي ومـا يتصـل بـذلك مـن تمييـز، فضـلاً عـن التشـريعات والممارسـات القائمـة علـى أسـاس العنصـرية، والتمييـز العنصـري، وكرهـا لأجانـب، ومـا يتصـل بـذلك مـن تعصـب، باعتبارهـا تتعـارض مـع الديمقراطيـة ومعـا لحكـم السـديد الـذي يتسـم بالشـفافية والمسـاءلة. ونؤكـد مـن جديـد أن ممارسـات العنصـرية، والتمييـز العنصـري، وكـره الأجانـب، ومـا يتصـل بـذلك مـن تعصـب، التـي تتغاضـى عنهـا السياسـات الحكوميـة، تشـكل انتهاكـاً لحقـوق الإنسـان وقـد تعـرض للخطـر العلاقـات الوديـة فيمـا بـين الشـعوب والتعـاون فيمـا بـين الأمم والسلم والأمن الدوليين؛

٨٦ - نشير إلى أن ترويج جميع الأفكار القائمة على التفوق العنصري أو الكراهية العنصرية يجب إعلانه جريمةً يعاقب عليها القانون مع إيلاء الاعتبار الواجب للمبادئ الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والحقوق المذكورة صراحة في المادة ٥ من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري؛

٨٧ - نلاحظ أن الفقرة (ب) من المادة ٤ من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري تُلقي على كاهل الدول التزاماً باليقظة وبمقاضاة المنظمات التي تروج أفكاراً قائمة على التفوق العنصري أو الكراهية العنصرية أو ترتكب أعمال عنف أو تحرض عليها. ويجب إدانة هذه المنظمات والثني عنها؛

٨٨ - نسلّم أنه ينبغي أن تعكس وسائط الإعلام تنوع المجتمع المتعدد الثقافات وأن تؤدي دورها في مكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكرها لأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب. ونوجه الاهتمام في هذا الصدد إلى قوة تأثير الإعلان؛

٨٩ - نلاحظ مع الأسف أن بعض الدوائر الإعلامية، بترويجها صوراً كاذبة وأنماطاً سلبية لأفراد وجماعات مستضعفة، لا سيما المهاجرين واللاجئين، قد أسهمت في نشر مشاعر تنم عن عنصرية وكره للأجانب في أوساط الجمهور وشجعت في بعض الحالات أفراداً عنصريين وجماعات عنصرية على العنف؛

٩٠ - نقر بما لممارسة الحق في حرية التعبير، لا سيما عن طريق وسائط الإعلام والتكنولوجيات الحديثة، بما في ذلك شبكة الإنترنت، والاحترام التام لحرية التماس المعلومات وتلقيها ونقلها، من مساهمة إيجابية في مكافحة العنصرية،

والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛ ونؤكد مجدداً في هذا الصدد ضرورة احترام استقلالية هيئة التحرير والإدارة الذاتية في وسائط الإعلام؛

٩١ - نعرب عن بالغ قلقنا إزاء استخدام تكنولوجيات المعلومات الحديثة، مثل شبكة الإنترنت، لأغراض تتنافى مع احترام القيم الإنسانية والمساواة وعدم التمييز واحترام الآخرين والتسامح، بما في ذلك استخدامها لترويج العنصرية والكراهية العنصرية وكره الأجانب والتمييز العنصري وما يتصل بذلك من تعصب، وخاصة لأن هذه المواد يمكن أن تؤثر سلباً في الأطفال والشباب الذين يطلعون عليها؛

٩٢ - نقر بالحاجة إلى ترويج استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة، بما في ذلك شبكة الإنترنت، للإسهام في مكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛ وتستطيع التكنولوجيات الجديدة، في وفائها بهذه الحاجة، تشجيع التسامح واحترام كرامة الإنسان ومبادئ المساواة وعدم التمييز؛

٩٣ - نؤكد أنه ينبغي لجميع الدول أن تسلم بأهمية وسائط الإعلام المجتمعية التي تُسمع صوت ضحايا العنصرية،

والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛

٩٤ - نؤكد من جديد أن وصم الأشخاص من أصول مختلفة من خلال ما تقوم به أو تمتنع عن القيام به السلطات العامة أو المؤسسات أو وسائط الإعلام أو الأحزاب السياسية أو المنظمات الوطنية أو المحلية، من أفعال، لا يعتبر عملاً من أعمال التمييز العنصري فحسب بل يعتبر أيضاً تحريضاً على تكرار هذه الأفعال، مما يؤدي إلى نشوء حلقة مفرغة تدعم المواقف العنصرية ومظاهر التحامل العنصري، ويجب التنديد بهذه الأفعال؛

٩٥ - نسلّم بأن التعليم في جميع المستويات والأعمار، بما في ذلك داخل الأسرة، وعلى الأخص التعليم في مجال حقوق الإنسان، هو عامل رئيسي في تغيير المواقف والسلوكيات التي تنم عن العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب وفي تشجيع التسامح والاحترام إزاء التنوع في المجتمعات؛ ونؤكد كذلك أن هذا التعليم عامل حاسم في تعزيز ونشر وحماية القيم الديمقراطية للعدالة والإنصاف التي تُعد أساسية لمنع ومكافحة انتشار العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب؛

٩٦ - نسلّم بأن التعليم الجيد ومحو الأمية وإمكانية حصول الجميع على تعليم ابتدائي مجاني هي أمور يمكن أن تسهم في تعزيز شمولية المجتمعات وفي تحقيق الإنصاف وإقامة علاقات مستقرة ومتجانسة وصداقة فيما بين الأمم والشعوب والجماعات

والأفراد وفي تشجيع ثقافة السلم وتعزيز التفاهم المتبادل والتضامن والعدالة الاجتماعية واحترام كافة حقوق الإنسان للجميع؛

٩٧ - نؤكد على الصلات القائمة بين الحق في التعليم والكفاح ضد العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، والدور الجوهري للتعليم، بما في ذلك التعليم في مجال حقوق الإنسان، والتعليم الذي يهتم بالتنوع الثقافي ويحترمه، وبخاصة لدى الأطفال والشبيبة، في منع واستئصال جميع أشكال التعصب والتمييز؛

- **الخاتمة**

يمكننا القول بمنتهى الشفافية إن العنصرية والتمييز العنصري التي انتشرت كأوبئة ضمن نسيج المجتمع الأخلاقي والسياسي قد دخل إلى أدق خلايا المجتمع، وإن المعاناة التي نشهدها في المجتمعات هي نتيجة هذا المرض. لكن رغم ذلك ورغم هذه المعاناة مازال المجتمع الإنساني في كثير من المجالات والمؤسسات الاجتماعية تناهض العنصرية والأمراض المنتشرة منها، بروح إنسانية مفعما بالحيوية والأمل، ومادام نقرأ كتابات مثل هذا الكتيب، فما دليل ذلك إلا على إن المجتمعات مازالت تحافظ على كيانها الإنساني وطبيعتها الأخلاقية والسياسية.

وكخاتمة لهذا الكتيب أردنا سرد بعض الحقائق التاريخية وتوضيح مفهوم العنصرية لمجتمعنا من خلال هذه الكتابة، إن هذه المشكلة التي مازلنا نواجها ليومنا الراهن والتي لم تستطع المجتمعات التخلص منها بالرغم من ظهور الكثير من الثورات والفلاسفة والحركات المناهضة لها، إلا أنها ما زالت تحيا في مجتمعاتنا وهي مرض توارثته الكثير من الأنظمة والأمم منذ آلاف السنين، ربما لا يسعنا الشرح عن العنصرية بدقة كبرى في هذا النتاج الذي قدمناه إلا أننا قمنا بتوضيحه إلى حد ما هذا وعلينا التدقيق في التاريخ أكثر والتحليل بتمعن ودقة أكثر في ظل المرحلة الرأسمالية التي نعيشها. حقا لا يمكننا التخلص من هذا المرض من دون وعي وثقافة وتحليل عميق للتاريخ وتاريخ الحضارة الإنسانية وذلك لأننا نعيش ضمن هذا التاريخ المنحرف و ما زلنا نعيش ضمن هذا النظام الذي يحاول

استعبادنا منذ طلوع الحضارة المركزية. لقد قدمنا بعض التعاريف وبعض الأمثلة عن بطش وسلطان الهيمنة والتي تكون العنصرية فيها شريان التطفل الرئيسي. هذا ونستطيع القول في النهاية أن معرفة العنصرية وأشكالها والأساليب التي تمارسها على المجتمعات، هي بحد ذاتها معالجة ومحاربة العنصرية، حيث يقال: أن معرفة مرض ما، هي علاج ودواء لنصف المرض. بذلك يمكننا من خلال معرفة العنصرية وأضرارها على الفرد والمجتمع، أخذ التدابير والإجراءات لمكافحة العنصرية والحد من ظاهرة انتشارها، وتطوير مستوى وعي الأفراد والمجتمع لتجنب الإصابة بهذا المرض المعدي.

حيث لا يمكننا تخطي هذه المشكلة من دون ردة فعل قوية تجاه ما عاشته شعوبنا كل هذا الزمان من دحض واحتقار من القوى المهيمنة فقد مرت على مجتمعاتنا الكثير من نظم الحكم والسلطة وقد اثرت بشكل ملحوظ وخطير على المجتمع لذلك من أهم سبل التخلص من هذا المرض النظر إلى الحقيقة بالعين الثالثة. لكي نتمكن من رؤية التاريخ ومستقبلنا، لنتخلص من التشتت والمتاهة التي نعيشها. لكي لا نسمح للعنصرية بزرع مزيد من الخوف فينا ولنتحرر من قيود العنصرية يتطلب منا نضالا حادا تجاهها بالفكر والعلم والفلسفة وحتى السياسة.